

ڪامل ڪيلاني



قصص شڪسپيئر

الملايڪير



DVD4ARAB

دارالمعارف

کامل کیلانی

قصص شکسپیر

المَلِکُ الْلیْمُ

الطبعة الثانية عشرة



دار المعارف

تَمْهِيد

١ - قِصَّةُ عَجُوزٍ

كَانَتْ مَمْلَكَةٌ « إِنْجِلْتَرَة » - حِينَ وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ - تَمُرُّ بِأَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ (مَصَائِبَ) ، لَا عَهْدَ لَهَا بِأَمْثَالِهَا مِنْ قَبْلُ . وَإِلَيْكَ مَا تَقَعُّهُ عَجُوزٌ كَيْفَتْ (زَادَتْ) عَلَى خَمْسِينَ وَمِائَةٍ مِنَ السَّنِينَ . قَالَتْ الْعَجُوزُ :

« لَقَدْ عِشْتُ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ عَامًا . وَرَأَيْتُ فِي طُفُولَتِي - مِنَ الْكَوَارِثِ وَالْمِحَنِ - مَا لَمْ يَخْطُرْ لِإِنْسَانٍ عَلَى بَالٍ . وَلَا زِلْتُ أَذْكُرُ تِلْكَ التَّوَاصِيفَ الْهَوِجَ حِينَ اكْتَسَحَتْ الْعَابَاتِ ، ثُمَّ أَغْصَبَهَا فَيَضَانُ الْأَنْهَارُ ؛ فَاغْرَقَ مِنَ الْبِلَادِ مَا أَغْرَقَ ، وَأَهْلَكَ مِنَ الْحَرْثِ (الزَّرْعِ) وَالتَّنَلِ (الْأَوْلَادِ) مَا أَهْلَكَ !

لَا أُرَالُ أَذْكُرُ - إِلَى الْيَوْمِ - ذَلِكَ الْعَهْدَ الَّذِي شَهِدْتُهُ فِي طُفُولَتِي ، وَأَتَمَثَّلُ (أَتَصَوِّرُ) حَوَادِثَهُ الْبَعِيدَةَ ، كَأَنَّمَا وَقَعَتْ أَمْسَ . وَلَكِنْ مَا حَدَثَ فِي هَذَا الْعَالَمِ ، قَدْ مَحَا - أَوْ كَادَ - كُلَّ

٤
ما استعظمتُهُ مِنَ الْأَحْدَاثِ الْمَاضِيَةِ . وَلَيْسَتْ تِلْكَ الْمَصَائِبُ الَّتِي
حَلَّتْ بِلَادِنَا - فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ الْبَعِيدِ - إِلَّا شَيْئًا يَسِيرًا قَبِيحًا
(لَا قِيَمَةَ لَهُ) ، إِذَا قَبِيسَتْ بِمَا وَقَعَ فِي هَذَا الْعَالَمِ .

فَقَدْ تَأَلَّبَتْ (تَجَمَّعَتْ) قُوَى الشَّرِّ ، وَاجْتَمَعَتِ الْكَوَارِثُ ،
وَتَنَابَتِ الْأَحْدَاثُ ، وَتَقَسَّتِ الْأَبَالِسَةُ وَالشَّيَاطِينُ فِي إِغْرَاءِ النَّاسِ
بِفُرُوبِ (أَصْنَافِ) مِنَ الظُّلَمِ وَالْقِسْوَةِ وَالْأَنَانِيَةِ (حُبِّ الذَّاتِ) ،
وَمَا إِلَى ذَلِكَ مِنَ أَلْوَانِ الشَّرِّ ، وَأَفْانِينَ الشَّقَاءِ (أَنْوَاعِ الشَّدَّةِ وَالضَّرِّ) .
وَفِي شِمَالِ « إِنْجِلْتَرَةَ » طَفَتْ أَمْوَاهُ الْبُحَيْرَاتِ ، وَأَغْرَقَتْ مِنْ
السُّكَّانِ وَالْمَسَاكِينِ آفَاقًا .

نَهْمُ جَاءَ الشَّتَاءُ ؛ فَخَرَجَتِ الذَّنَابُ وَأَصْنَافُ الْوُحُوشِ الضَّارِيَةِ
مِنْ مَكَامِهَا ، وَالْتَهَمَتِ الْأَغْنَامُ فِي رَائِعَةِ النَّهَارِ ، دُونَ أَنْ تُبَالِيَ
كَائِنًا كَانَ .

وَعَاتَتِ الْخَنَازِيرُ الْبَرِّيَّةُ فِي أَرْقَةِ الْقَرْيِ ؛ فَمَلَأَتْ الْقُلُوبَ دُغْرًا
(خَوْفًا) ، وَقَسَتْ قُلُوبُ النَّاسِ ، وَنَمَتْ بَيْنَهُمْ بُدُورُ الشَّقَاقِ
وَالْتَفَرَّقَتْ ، وَحَلَّ النِّصَامُ مَحَلَّ الْوَنَامِ (الْوَفَاقِ) . وَسَرَى الْخُلْفُ

٥
بَيْنَ الْأَزْوَاجِ ، ثُمَّ انْتَضَلَّتْ عَذَوَاهُ إِلَى الْأَطْفَالِ ؛ فَأَصْبَحَتِ الْبِلَادُ
جَحِيمًا لَا يُطَاقُ .

٢ - مَهْرَجَانُ الْمَلِكِ

هَذَا بَعْضُ مَا قَصَّتهُ عَجُوزُ ذَلِكَ الزَّمَانِ ، وَرَأَتْهُ رُؤْيَا الْعِيَانِ .
وَقَدْ تَوَخَّيْتُ (تَمَعَّدْتُ) أَنْ أَتَيْتُهُ لَكُمْ - أَيُّهَا الْأَصْدِقَاءُ الْأَعْرَاءُ -
لَتَعْرِفُوا مَتَى وَقَعَتْ حَوَادِثُ هَذِهِ الْقِصَّةِ ؟ وَفِي أَيِّ عَهْدٍ - مِنْ عُهُودِ
الْإِضْطِرَابِ - مُثِّلَتْ فُصُولُهَا الْمُخْزِنَةُ ؟

وَكَانَ بَدْءُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الْمَفْرَعَةِ يَوْمَ الْمَهْرَجَانِ الَّذِي أَقَامَهُ
الْمَلِكُ « لِير » فِي قَصْرِهِ الْكَبِيرِ ، مُنْذُ أَلْقَى عَامِهِ .

وَقَدْ أَعْتَرَمَ الْمَلِكُ أَنْ يَفْسِمَ مُلْكُهُ الْعَظِيمَ بَيْنَ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ ،
وَرَفَعَ عَنْ كَاهِلِهِ أَغْيَاءَ الْمُلْكِ (أَثْقَالَ الْحُكْمِ) ، وَبُرِيحَ شَيْخُوخَتِهِ ،
وَقَضَى أَيْامَهُ الْأَخِيرَةَ فِي أَمْنٍ وَسَلَامٍ ، وَادِرَعِ الْخَلْدِ (مُسْتَرِيحِ
الْقَلْبِ) ، نَاعِمِ الْبَالِ .

وَكَانَتْ الْأَنْوَارُ سَاطِعَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ قَصْرِ الْمَلِكِ ،

تَنَعَّسُ أَضْوَاؤُهَا الْبَهِيَّةُ عَلَى أَعْمَدَةِ الْقَصْرِ الذَّهَبِيَّةِ ، وَتَصَاوِرُهُ
الْمُبَدَّعَةِ الْفَنِّيَّةِ . وَهِيَ تُمَثِّلُ أَنْتَصَارَ الْمَلِكِ « لِير » عَلَى أَعْدَائِهِ ، فِي
زَمَنِ صِبَاهُ .

وكان الثَّامِلُ لَا يَمْلِكُ نَفْسَهُ مِنَ الْحَسْرَةِ وَالْأَسَفِ ، كُلَّمَا وَصَفَتْ
عَيْنَاهُ عَلَى هَذَا الْفَتَى الْقَوِيَّ « لِير » ، الْجَرِيءِ الْبَاطِلِ (الْآخِذِ بِنُصْفِ)
الَّذِي تُمَثِّلُهُ تِلْكَ التَّصَاوِيرُ الْمُعْجِبَةُ ، وَقَابَلَهَا بِهَذَا الشَّيْخِ « لِير » ،
الْمَائِلِ (الْوَاقِفِ) فِي الْحَقْلِ ، وَقَدْ جَلَّلَ الشَّيْبُ رَأْسَهُ ، وَقَوَّسَتْ
قَنَاتُهُ السُّنُونُ (حَسَتْ الْأَعْوَامُ ظَهْرَهُ) ؛ فَانْتَظَمَتِ الرَّعْشَةُ بِيَدَيْهِ
النَّاحِلَتَيْنِ ، وَأَصْبَحَ يَمْشِي إِلَى الْفَنَاءِ (الْمَوْتِ) ، بِخُطُواتٍ سَرِيعَةٍ .
وَقَدْ أَجْتَمَعَتْ فِي ذَلِكَ الْمَهْرَجَانِ حَاشِيَةُ الْمَلِكِ وَقَوَّادُهُ وَسَرَاهُ
الْبِلَادِ (رُؤُوسُهَا) ، وَجَلَسَ إِلَى جَانِبِهِ وَزِيرُهُ الْمُخْلِصُ الْأَمِينُ :
« كُنْتُ » ، وَنَدِيمُهُ (صَاحِبُهُ) الْمُخْتَارُ : « بُهْلُولُ » .

الفصل الأول

١ - عَهْدُ الشَّيْخُوخَةِ

تَبَدَّأَ هَذِهِ الْقِصَّةُ حِينَ بَلَغَ الْمَلِكُ « لِير » الثَّمَانِينَ مِنْ عُمْرِهِ ،
وَأَصْبَحَ شَيْخًا يَجْمَعُ - إِلَى صَعْفِ الْجِسْمِ - حَطَلُ الرَّأْيِ (فَسَادُ
التَّفْكِيرِ) ، وَسُوءُ التَّذْيِيرِ .

وكان الشَّيْخُ « لِير » - فِي هَذِهِ الْمَرَحَلَةِ الْأَخِيرَةِ مِنْ سِنِيهِ -
شَدِيدَ السَّامَةِ وَالضَّجَرِ . وَقَدْ زَهَّدَتْهُ الشَّيْخُوخَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ
مَبَاهِجِ الْحَيَاةِ : فَلَمْ يَبْقَ لَهُ مِنْ أُمْنِيَّةٍ (رَغْبَةٍ) يَرْجُوهَا . وَيَأْنَسُ
بِهَا فِي الْحَيَاةِ إِلَّا بَنَاتَهُ الثَّلَاثُ .

وكان الملكُ « لِير » يُحِبُّ هَؤُلَاءِ الْبَنَاتِ حُبًّا شَدِيدًا ، وَلَا يُطِيقُ
الصَّبْرَ عَلَى بِعَادِهِنَّ .

٢ - بَنَاتُ الْمَلِكِ « لِير »

وكانتُ فَتَاتَانِ - مِنْ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ - قَدْ زُوِّجَتَا أَمِيرَيْنِ . أَمَّا الثَّالِثَةُ

— وَهِيَ صُغْرَاهُنَّ — قَدْ جَاءَ الْآنَ مَلِكُ « فَرْنَا » وَأَحَدُ أُمَرَاءِ
« إِنْجَلْتَرَة » ، وَنَزَلَا صَيِّفَيْنِ عَلَى الْمَلِكِ « لِير » وَأَقَامَا فِي قَصْرِهِ ،
وَكَانَ كِلَاهُمَا رَاغِبًا فِي أَنْ يَتَزَوَّجَ « كُرْدُ لِيَا » : صُغْرَى بَنَاتِهِ . وَأَمَرَ
الْمَلِكُ « لِير » بِاسْتِئْذَانِ بَنَاتِهِ الثَّلَاثِ ، وَقَالَ لَهُنَّ :
« لَقَدْ عَنَّا لِي — يَا بَنَاتِي التَّزْوِجَاتِ — أَنْ أَقِيمَ مُلْكِي يَتَنَكَّنُ .
وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَوَّجَ — قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ — مَدَى (مُنْتَهَى)
حُبِّكَنَّ إِنَايَ ، لِأَرَى رَأْيِي . »

٣ — حَدِيثُ « جُنْرِيل »

فَتَقَدَّمَتْ كُبْرَى بَنَاتِهِ ، وَاسْمُهَا « جُنْرِيل » ؛ وَكَانَتْ — عَلَى
الْحَقِيقَةِ — امْرَأَةً سَوًّا (خَبِيثَةً) ، تَجْمَعُ — إِلَى رِبَائِهَا النَّادِرِ —
لَوْ مَا وَخْبًا عَظِيمَيْنِ . وَلَمْ تَكُنْ تُضْمِرُ لِأَبْنَائِهَا شَيْئًا مِنَ الْحُبِّ ، وَلَكِنَّمَا
رَأَتْ أَمَامَهَا فُرْصَةً سَانِحَةً لِتَمْلِكِهِ (مُخَادَعَتِهِ) وَالتَّوَدُّدِ إِلَيْهِ ، طَمَعًا
فِي الْمِيرَاثِ الَّذِي لَوْحَ (أَشَارَ) لَهَا بِهِ .
قَالَتْ لَهُ ، وَهِيَ تَتَظَاهَرُ بِالْحُبِّ وَالْوَفَاءِ وَالْحَنُوِّ :

« إِنَّا حُبِّكَ (مَحَبَّتِي لَكَ) — يَا أَبِي — لِأَجَلٍ وَأَعْظَمُ مِنْ أَنْ
تُعَبِّرَ عَنْهُ الْأَلْفَاظُ . كَيْفَ لَا ، وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ إِنْسَانٍ عَيْنِي
(سَوَادِهَا وَحَدَقَتِهَا) ، وَأَتَمُّ لَدَيَّ مِنْ نَفْسِي ، وَحُرِّيَّتِي وَجَمَالِي ،
وَصِحَّتِي ! »
فَابْتَهَجَ الْمَلِكُ « لِير » بِسَمَاعِ هَذَا التَّنَادِ الرَّائِعِ (الْمَشْهُوشِ) ،
وَقَالَ لَهَا مَسْرُورًا :
« مَا دُمْتُ تُحِبُّنِي إِلَى هَذَا الْحَدِّ ، فَإِنِّي جَدِيرٌ بِأَنْ أُمْنَحَكَ ثُلُثَ
مُلْكِي . فَأَنْتِ — فِيمَا أَرَى — حَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُكَافَأَةِ . »

٤ — حَدِيثُ « رِيْجَان »

ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَى بَنَاتِهِ الْوُسْطَى قَائِلًا :
« إِلَى أَيِّ حَدٍّ بَلَغَتْ مَحَبَّتُكَ أَبَاكَ ، يَا رِيْجَانُ ؟ »
قَالَتْ لَهُ مُرَاتِبَةً مُتَوَدِّدَةً (مُظْهِرَةً مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْمَوَدَّةِ خِلَافَ مَا هِيَ
عَلَيْهِ) : « إِنِّي أُحِبُّكَ — يَا أَبَتَاهُ — قَدْرَ مَا تُحِبُّكَ أُخْتِي « جُنْرِيل »
إِنْ لَمْ أَرِدْ عَلَيْهَا ؛ فَلَيْسَ لِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا كُلِّهَا شَيْءٌ يَشْغُلُنِي عَنْ

ذِكْرَكَ ، أَوْ يَحْوُلُنِي عَنْ حُكِّكَ ، أَوْ يُنْسِنِي بَرِّكَ بِي . وما أذكر
أَنْتِي غَفَلْتُ عَنْ التَّفَكُّيرِ فَيْكَ - يَا أَبَتِ - لَحْظَةً وَاحِدَةً .

فَضَرَحَ الْمَلِكُ « لِير » ، وَتَمَلَّكَهُ الرَّهْوُ وَالْإِعْجَابُ ، وَتَطَلَّعَتْ
أَسَارِيرُهُ (تَهَلَّلَ وَانْفَرَجَتْ تَجَاعِيدُهُ) بِهَجَّةٍ وَجُورًا بِمَا سَمِعَ ، وَأَثْنَى
عَلَى بِنْتِهِ « رِيحَان » أَحْسَنَ الثَّنَاءِ ، وَشَكَرَ لَهَا هَذَا الْإِخْلَاصَ النَّادِرَ ،
وَأَكْبَرَ فِيهَا وَفَاءَهَا الْمَجِيبَ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا :

« لَكَ مِنْنِي - أَيَّتُهَا الْبِنْتُ الْبَارَةُ - ثُلُثُ مُلْكِي . فَأَهْنِي بِهِ ؛
فَأَنْتِ بِهَذِهِ الْمَكَافَأَةِ جَدِيدَةٌ . »

وَأَكْبَرَ الْمَلِكُ ذَلِكَ الْحَنُوَّ ، وَاشْتَدَّ إِعْجَابُهُ بِمَا سَمِعَ ، وَشَكَرَ
لَاِبْتِنَتِهِ هَذَا الْحُبَّ النَّادِرَ ، وَالْوَفَاءَ الْمَجِيبَ .

٥ - حَدِيثُ « كُرْدِيَا »

ثُمَّ انْفَضَّ الْمَلِكُ « لِير » إِلَى قَتَاتِهِ الصُّغْرَى : « كُرْدِيَا » ، وَقَالَ لَهَا :
« لَقَدْ جَاءَ دَوْرُكَ - يَا نُورَ قَلْبِي - وَلَسْتُ أَشْكُ فِي أَنَّ حُبَّكَ
رَأَى أَعْظَمَ مِنْ حُبِّ أُخْتَيْكَ . وَقَدْ أَدَّخَرْتُ (اخْتَفَضْتُ) لَكَ

ثُلُثَ الْمُلْكِ ، وَهُوَ أَحْصَبُ بُعْمَةٍ فِي مَمْلَكَتِي وَأَغْنَاهَا فَحْدَ نِسْنِي
بِيقْدَارِ مَا تُضْمِرُهُ لِي (مَا تُخْفِيهِ فِي صَمِيرِكَ) مِنْ حُبٍّ وَوَلَاءٍ .
قَالَتْ لَهُ « كُرْدِيَا » : « لَيْسَ لَدَيَّ مَا أُحْدِثُكَ بِهِ ، يَا أَبَتَاهُ ! »
قَالَ لَهَا مَذْهُوْشًا : « مَاذَا تَقُولِينَ ؟ أَلَيْسَ لَدَيْكَ مَا تُحْدِثُنِي بِهِ ؟ »
قَالَتْ لَهُ « كُرْدِيَا » : « لَا شَيْءَ عِنْدِي ، يَا أَبَتَاهُ . »

قَالَ لَهَا الْمَلِكُ « لِير » : « كَأَنَّكَ لَا تُحِينِنِي ، أَيَّتُهَا الْفَتَاةُ الْأَعْيَدِي
عَلَى مِسْمَى جَوَابِكَ الْأَخِيرِ . »

قَالَتْ « كُرْدِيَا » : « إِنِّي أُحِبُّ جَلَالَتَكَ بِيقْدَارِ مَا يَحْتَسِبُهُ عَلَيَّ
الْوَاجِبُ الْأَبْوِيُّ ، لَا أَكْثَرُ ، وَلَا أَقَلَّ . »

٦ - نُبْلُ « كُرْدِيَا »

وَأَمَّا قَالَتْ « كُرْدِيَا » ذَلِكَ ، وَلَمْ تَصْنَعْ لَهَا عِبَارَاتِ الْمَدِيحِ
وَالثَّنَاءِ الْخَلَّابَةِ - كَمَا قَمَلَتْ أُخْتَاهَا مِنْ قَبْلُ - لِأَنَّهَا أَقْبَتْ (كَرِهَتْ)
أَنْ تَتَلَّكَ مَسَالِكَ الرِّيَاءِ ، وَسَمَتْ بِنَفْسِهَا عَنْ أَنْ تَكُونَ مُخَادِعَةً مُتَمَلِّقَةً
(تَهْوَلُ بِلِسَانِهَا مَا لَيْسَ فِي قَلْبِهَا) .

وكانت على يقين من لوم أختيها وخُبث طويتهما (نيتيها)؛
فاحتقرت منهما ذلك الشاء الزائف، الذي نطقت به، لتخدع أباهما
عن حقيقة نفسيهما، رغبة في أن تظفرا بملكه العظيم.
وكانت «كرديا» عارفة أن أختيها تنويان النذر بأبيهما الشيخ،
وأنها لا تمنحانه الوُد (لا تُضيران له صادق المودّة)، ولا
توديان له شيئا من واجبات الأبوة عليهما، وإن كانتا قد أغرقناه
بعبارات المدح والثناء التي لا طائل تحتها (لا فائدة منها)، لتظهرنا
بغير مخبرهما (باطنيهما) الحقيقي.

ثم قالت «كرديا» مستأنفة: «ما أنا إلا بنتك... وقد أوجدتني
من الدم، وخصصتني بحبك وعطفك. وليس لي إلا أن أقدر ذلك
لك؛ فأبذل لك حبا يحب، وعطفا برعاية. فإن واجب أبوتك
يقضي على أن أكون وفتة لك، بارة بك، وأن أطيع أوامرك،
وأحبك وأجلك الإجلال كله.»

٧ - غضب «لير»

كان الملك «لير» يفرّد (يخص) بنته الصميرة «كرديا»

بحب عظيم، ويؤثرها (يفضلها) على أختيها الكبرى والوسطى،
ولا يطبق فراقها. وكان يزحف أدنى لسماع آيات الإعجاب به،
والثناء عليه، ويحبها مفضلة في صوغ عبارات الولاء (الإخلاص)،
أكثر من أختيها. فلما سيع منها ذلك الكلام الفاتر، خاب
أمله فيها، وامتلأت قسه سُخْطًا (غضبًا) عليها، وتبرأ (تصجّر) بها؛
لأنه علم أن حبها إياه أقل من حب أختيها.

ولم يعرف الخبر (لوعلم الحقيقة)، لأمن أن «كرديا»
أخلص لإنسان له، وأبرأ ابنه به، وأنها لم تشأ أن تتبرج بحبها
أباهما، كما فعلت أختاهما.

ولأن أباهما سألهما مثل هذا السؤال، في غير هذا الوقت، لأفضت
إليه (صرحت له) بما تُضمر له من وفاء وبر لا مثيل لهما،
أما وقد سألهما في ذلك الوقت الذي يقسم فيه ميراثه بين بناته
الثلاث، ورأت من رياء أختيها ما رأت؛ قد سمت بها عزة نفسها،
وأبى لها إياها وسوء أخلاقها أن تجاريهما في هذا التمليق، وتندفع
معهما في ذلك التلقيق.

أَمَّا أَبُوهُمَا «لِير» فَقَدْ أَنْتَهُ الشَّيْخُوخَةَ وَاجِبَاتِ الْحَزْمِ، وَدَفَعَهُ
الْهُتَرُ (ضَعْفُ الْعُلَى) إِلَى سُوءِ الْأَرْأَى، وَخَطَلَى التَّقْدِيرَ (خَطَلَهُ)؛
فَلَمْ يَرَفْ فِي كَلَامِهِ «كُرْدِلِيَا» إِلَّا زَهْوًا وَكِبْرًا وَتَعَالِيًا وَعَطْرَةً.
وَمَا هُوَ - مِنْ شَيْءٍ - مِنْ هَذِهِ الْمَعَانِي بِسَبِيلٍ.

وَتَمَادَى (اسْتَرَّ) «لِير» فِي غَضَبِهِ، وَأَسْلَمَ لِسُخْطِهِ الْإِنَانَ (تَرَكَ
لِغَضَبِهِ الزَّمَانَ)؛ فَانْتَهَرَ «كُرْدِلِيَا» (زَجَرَهَا)، وَأَمَرَهَا بِالِاسْتِغْفَاءِ
عَنْ نَاطِرَيْهِ فِي الْحَالِ، ثُمَّ قَسَمَ الثُّلُثَ الْبَاقِيَ مِنْ مُلْكِهِ - الَّذِي كَانَ
يَذْخِرُهُ لَهَا - بَيْنَ أُخْتَيْهَا الْفَادِرَتَيْنِ.

٨ - مِهْرَجَانُ الْمَلِكِ

وَأَقَامَ الْمَلِكُ «لِير» مِهْرَجَانًا عَظِيمًا، جَمَعَ فِيهِ سَرَاةَ الدَّوْلَةِ
وَأَعْيَانَهَا، وَأَعْلَنَ أَمَامَهُمْ مَا قَرَّرَهُ وَاشْتَرَطَهُ. وَلَمْ يَحْتَفِظْ لِنَفْسِهِ
شَيْءٌ مِنَ الْمَظَاهِرِ إِلَّا بَقِيَّةَ الْمَلِكِ، وَبِمَايَةِ فَارِسٍ يَكُونُونَ لَهُ
حَاشِيَةً، عَلَى أَنْ يَنْزِلَ صَبَاحًا عَلَى إِحْدَى بَنَاتَيْهِ شَهْرًا، ثُمَّ يَقْضَى
الشَّهْرَ الثَّانِي فِي قَصْرِ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ يُقِيمَ - فِي الشَّهْرِ الثَّلَاثِ - فِي قَصْرِ



الأولى ، فإذا جاء الشهر الرابع عاد إلى الأخرى ، وهكذا حتى ينتهي أجله .

وقد عجبت الحاشية من هذا القرار ودهشوا له . ولكنهم لم يجروا على مخالفته ، ولم يستطيعوا أن يمارضوا الملك في رأيه ، ما خلا وزيره الحكيم الراشد « كنت » ، الذي أقدم على النصيح له بالإقلاع عن فكرته العاطية (تركها) ؛ فكان نصيبه - على صديق نصيحته - التهديد والوعيد . فلم يخش الوزير الناصح تهديد الشيخ « لير » ، ولم يخف وعيده .

فاغتاط الشيخ « لير » ، وجعل يقول له : « إن القوس مخضرة ، وقد أريد فيها السم . وما هي إلا لحظة حتى ينطلق السم القاتل منها . فاحذر أن تكون هدفا له فهلك » .
ثم أئند ، يندره ويوعده :

« انحتت القوس ، وكادت ترمي
وفوق السم ، وكاد يصني
فلا أجذك هدفا ليعمي . »

فأجابه الوزير الشجاع : « إذا اندفع سهم الموت إلى قلبي فمرفقه ، فأني لا أخشى شيئا . ولنعمل في أقدار الدهر وأحوال الزمن ما تشاء . »
ثم أئند :

« إن ينطلق سهم الردى ، من الوزير
إلى فؤادي مضميا ، فينفطر
فلست هيبا نصاريف القدر . »

لصاح فيه الشيخ « لير » : « ونلك أيها النقي . ألا قلع
عن لجأجيتك وعنادك ؟ » فأجابه الوزير مخزونا يحذر عاقبة أمره ،
ويظهره على هول ما يعتزم إقامته : « إنك ترمي نفسك في حفرة
الظلم والاعتداء . فلي مهلك . إن ما تفعله شيء عظيم ، وإن
الظلم آخرته سيئة ، وخطره جسيم . » ثم أئند :

« في هذه البني أراك تنحدر
فلا تارغ ، إنها إحدى الكبر
إن طريق البني مخشى الخطر . »

فاشتد غضب الملك وسخطه على وزيره ، وأمر بطرده ونفيه من

المدينة ، وتوعده باقتل إذا بقي في مملكته بعد اليوم .
 قال الوزير : « إني أخلصت لك في نصيحتي ؛ فلتعظ بما أقول .
 والتضع أثمن ما يحفظ ، وهو دليل على الوفاء والإخلاص في أوقات
 الشدة وحواشي الزمن . » ثم أئشده :
 « مخصصك التضع ؛ فعادِر ، واعتبر
 واعلم بأن التضع أعلى مدخر
 من صادق الود ، إذا الدهر عذر . »
 ثم خرج مخرونا مقهورا ، وقد أدرك أن آخرة مملكته قد قربت ،
 وأن مصرعه وشيك (هلاكه مسرع إليه) .

٩ - وداع « كروليا »

قلنا - آتيا - إن خاطبتين قد جاءا برغان في الزواج بالأميرة
 « كروليا » ، وهما ملك « فرنا » ، وأحد أمراء « إنجليزة » .
 فأما الأمير الإنجليزي ، فقد كف (امتنع) عن طلب الزواج
 بالأميرة « كروليا » ، بعد أن قدت حقها في ميراث أبيها .

وهالك توجه ملك « فرنا » ، إلى الأميرة « كروليا » ، وأصر
 (عزم) على الزواج بها ، بعد أن خذلها أبوها وخطيبها الآخر .



وقد أعجب ملك « فرنا » بصراحة « كروليا » ، وأكبر فيها
 المرأة التي أظهرتها في تلك الساعة ، إذ رصيت بالنزول عن نصيبها
 في الملك ، ورأت أن تخرج من الدنيا فقيرة معدمة (لا تملك)

شيثاً) ، مؤثراً (مفضلة) ذلك على أن تتجرَّ بحُبِّ أبيها ، وتُحْدِثهُ
سُلاً إلى مشاركة أختها في الميراث .

وبعد زمنٍ قصيرٍ رأى ملكٌ « فرناً » أن يعودَ بِرُوحِهِ
« كُردلياً » إلى وطنه ، فاستأذنته في وداع أختها . وقد فازتْها
دايمة العَيْن ، مخزونة القلب ، وأوصتها خيراً بأبيها . فأغلقتْ لها
أقوال ، وخاضعتا في الحديث (اشتدت كلُّ منهما عليها في
الكلام) ، وقالتا لها ساخرتين :

« لئنا في حاجةٍ إلى توصيتك ؛ فليست بأبرَّ من كلتينا به ،
وما هو بأكرمَ عليكِ مِنْهُ عَلَيْنَا . »

أما أبوها الملكُ « لير » ، فقد قالَ لِزُوجِها غاضباً :

« اذهبْ بها إلى حيثُ شئتَ ؛ فما أطيعُ رؤيةَ وجهها بعدَ الآن . »
قالَ لَهُ ملكٌ « فرناً » : « لِيَكُنْ ما تشاء . فوداعاً . »

ثم سافرت « كُردلياً » - صُغرى بناتِ الشيخ « لير » - معَ
زُوجِها ملكِ « فرناً » إلى وطنه ، حيثُ اتخذتهُ لها مقاماً (مكاناً
يقيمُ فيه) . بعدَ ذلكَ اليومِ .

الفصل الثاني

١ - في قصر « جُنرِل » .

هَدَّاتِ ثائرةُ الملكِ « لير » ، بعدَ أن أَقْصَى (أَبْعَدَ) بنته المَخْلِصَةَ
الوَفِيَّةَ « كُردلياً » عَنْ مَمْلَكَتِهِ ، وَهُوَ يَحْسِبُهَا مِثَالَ الْعُوقِ (عَدَمِ
القيام بالواجب نحو أبيها) والنَّذِيرِ والكبرياء .

وذهبَ الملكُ عَلَى الفورِ إلى قَصْرِ بنته « جُنرِل » . وَلَكِنَّهُ
ما عَتَمَ (ما لبث) أن أَدْرَكَ حَقَائِقَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي كَانَ الرِّيَاءُ وَالنِّفَاقُ
يَسْتُرَانِهَا عَنْ نَاطِرَيْهِ ، وَيَحْجُبَانِهَا عَنْ عَيْنَيْهِ . وَعَرَفَ أَنَّ الْأَقْطَافَ ،
الضُّوْلَةَ ، وَالْمَدَائِحَ الْمُنْقَعَةَ (الْمُرْخَرَجَةَ) الزَّائِمَةَ ، لَا تُنْفِي عَنِ
الْحَقِّ شَيْئاً .

لَقَدْ تَمَلَّكَتِ الْبِلَادَ - بعدَ أبيها - وَظَفِرَتْ (فَازَتْ) بِكُلِّ
ما مَتَحَها إِيَّاهُ مِنْ سُلْطَانٍ وَقُوَّةٍ ، وَاسْتَبَّ (اسْتَقَرَّ) لَهَا الْمُلْكُ ؛
فكَانَ أَوَّلَ هَمِّها أَنْ تَتَنَكَّرَ (تَتَغَيَّرَ) لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْها ، وَتَجَرِّبَهُ عَلَى
صَنِيعِ الشُّكُورِ أَقْبَحَ جَزَاءٍ ، وَتَكَافَأَهُ إِسَاءَةً بِإِحْسَانٍ ، وَعُوقاً بِبِرٍّ ،
وَعَقْدَها بِوَفاءٍ .

٢ - خُبْتُ « جُرَيْل »

ورأت « جُرَيْل » أن أباه قد أصبح - بعد أيام قليلة -
مَيْلًا قِيلًا لا يُطَاقُ، واستكدت عليه مائة الفارس الذين استبقاهم
لنفسه، ليراقبوه في حَلِّهِ وترحالهِ (في إقامته وسفره) .
وأصبحت « جُرَيْل » تلتقي أباه - كُلَّما وقعَ نظرُها عليه -
بوجه عَيُوسٍ، وقَطْبُ حاجِبِها (تَمِيس) كُلَّما ناداهَا، ولا تُلجِّي
(لا تُجِيبُ) له رَجاءً، ولا تُنفِذُ له مَشِيئةً .
واقصدى بها خَدَمُها في مُعاملةِ هذا الشيخ؛ فأصبحوا لا يُلبُّونَ
له أمرًا، ولا يُعَامِلُونَهُ بِغَيْرِ الإِهْمَالِ والإِخْطَارِ وَقِلَّةِ الأَكْثَرَاتِ .

٣ - وفاة الوزير

أما الوزيرُ الوفيُّ « كَنْت »، الذي طرده الشيخ « لير » مُكَافأةً
له على صِدْقِ وفائِهِ، وأمرَ بِنَفْسِهِ من مَدِينَتِهِ، قد آبَى عليه إِخْلَاصَهُ
لصِليكَ أن يَتْرُكَهُ نَهْبَ المَصَائِبِ والأَحْدَاثِ (تَهَبُّهُ وَتَهَوُّرُهُ)،

وَهَزَّةَ الخُطُوبِ والكَوَارِثِ (فُرْصَةَ اللَّبَايَا والنَّكَبَاتِ) . فلم يَخْرُجْ
من المَدِينَةِ؛ وَلَكِنَّهُ عَدِرَ مِنْ هَيْئَتِهِ، وبَدَّلَ مِنْ شَكْلِهِ، وتَزَيَّا
بِزِيِّ القَدَمِ، ثم عادَ إلى مَلِكِهِ خَادِمًا أَمِينًا، يَرَعَاهُ وَيَحْرُسُهُ،
وَيَرْقُبُهُ عَن كَثِيرٍ (عَن قُرْبٍ) .

ورَفِيَ المَلِكُ « لير » بهذا الخَادِمِ الجَدِيدِ، وهو لا يَرْفُهُ .
ولم يَنْقُصْ عَلَى عَوْدَتِهِ إلى مَلِكِهِ يومَ كَامِلٍ، حَتَّى رَأَى خَادِمًا مِنْ خَدَمِ
« جُرَيْل » يُجَادِلُ المَلِكَ « لير »، وَيَسْتَهِنُ بِهِ، لِيُزَيِّ بِذَلِكَ
سَيِّدَتَهُ « جُرَيْل » .

فَصَغَبَ الوَزِيرُ، ولم يَحْتَمِلْ وقاحةَ ذَلِكَ الخَادِمِ الجَرِيِّ، وثَارَتْ
ثَائِرَتُهُ (غَضَبُهُ) عَلَيْهِ؛ فَصَفَّه (ضَرَبَهُ) صَفْعَةً كَادَتْ تُذْهِلُهُ
(تُذْهِبُ عَقْلَهُ) وَتُرْزِدهُ (تُهْلِكُهُ)، جزاءً لَهُ على سَفَاهَتِهِ وتَطَاوُلِهِ
على سَيِّدِهِ . فابْتَهَجَ المَلِكُ « لير » بِوفاةِ هَذَا الخَادِمِ الجَدِيدِ وإِخْلَاصِهِ،
وَهُوَ لَا يَعْرِفُ أَنَّهُ وَزِيرُهُ النَّاصِحُ « كَنْت »، الَّذِي لم يَأَلُ
(لَمْ يَبْقَ) جُهْدًا في تَحْذِيرِهِ عَوَاقِبِ التَّسَرُّعِ والبَغْيِ .

بِالْمَجْنُونِ ؛ لِمَا أَعْتَادَهُ مِنْ خَلَطِ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ وَالْمَجْنُونِ (عَدَمِ
 الْمُبَالَغَةِ) ، وَإِلْبَاسِ الْحَقِيقَةِ ثَوْبِ الْبَاطِلِ .
 وَكَانَ « الْبُهْلُولُ » يُحَاوِلُ جَاهِدًا أَنْ يَدْخِلَ السُّرُورَ وَالنَّهْجَةَ عَلَى
 نَفْسِ مَلِكِهِ ، وَيَتَفَنَّنُ فِي تَسْلِيَتِهِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ .

٥ - ذِكَاةُ « الْبُهْلُولِ »

وَكَانَ « الْبُهْلُولُ » يُحَاوِلُ أَنْ يُبَصِّرَ « لِيرَ » بِعَاقِبَةِ مَا قَعَلَ .
 وَقَدْ أَدْرَكَ - بِثَاقِبِ بَصَرِهِ (يَنْظُرُهُ النَّافِذِ) - مَا تُدْبِرُهُ « جُرَيْلُ »
 لِأَيِّهَا مِنَ الْمَسَاكِدِ ، وَعَرَفَ أَنَّهَا تَوَدُّ جَاهِدَةً أَنْ تَتَخَلَّصَ مِنْهُ .
 وَقَدْ عَلِمَ « الْبُهْلُولُ » أَنَّ « جُرَيْلَ » لَنْ تَنْفِرَ لِأَيِّهَا وَخَادِمِهِ
 مَا لَقِيَهُ مِنْهَا خَادِمًا ، وَهِيَ الَّتِي أَوْعَزَتْ (أَشَارَتْ) إِلَيْهِ - كَمَا
 أَسْلَقْنَا - بِأَنْ يَحْيَى أَمْرَ أَيِّهَا ، وَلَا يُكَلِّيَ لَهُ طَلَبًا .

٦ - قِصَّةُ الْمُصْغُورِ وَالْفَرَابِ

فَدَخَلَ « الْبُهْلُولُ » يُفَنِّي مُدَاعِبًا (مُمَازِحًا) سَيِّدَهُ ، مُتَوَخِّيًا

٤ - « الْبُهْلُولُ »

وَلَقَدْ تَفَرَّقَ أَصْحَابُ « لِيرَ » ، بَعْدَ أَنْ زَالَ عَنْهُ سُلْطَانُهُ ،
 وَدَالَتْ دَوْلَتُهُ (انْقَلَبَتْ رَأْسًا عَلَى عَقِبِ) . وَلَمْ يَبْقَ إِلَى جَانِبِهِ



- بَعْدَ وَزِيرِهِ الْأَمِينِ - غَيْرَ نَدِيمِهِ الَّذِي كَانَ يُقْبِضُهُ مَرَّةً بِالْبُهْلُولِ ؛
 لِخِفَتِهِ وَدُعَابَتِهِ (ظَرْفِهِ وَفُكَاكِهِ) ، كَمَا يُقْبِضُهُ - مَرَّةً أُخْرَى -

(قاصداً) أَنْ يُنْذِرَهُ بِالْكَارِثَةِ قُبَيْلَ وَقُوعِهَا ؛ حَتَّى لَا يُفْلَجًا بِهَا ،
وَكَانَ يُبَلِّغُ لَهُ بِمَا يُرِيدُ ، وَقَوْلُ : « أَخْبَرْتَنَا الْقِصَصُ الَّتِي هَلَكْنَا فِيهَا
الْمُصَوِّرُ الْمَاضِيَةُ : أَنْ عَصَفُورًا أَبْصَرَ غُرَابًا وَلِدًا فِي عُشِّهِ ، يَكَادُ
يَهْلِكُ ؛ فَتَرَبَّ مِنْهُ مَا يَبْنُثُ فِي جِوْهِ الدَّفْنَةِ ، وَسَقَاهُ مَا يَشْفِيهِ .
فَلَمَّا نَشِطَ الْغُرَابُ الصَّغِيرُ ، وَهَدَمَتْ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَبَلَغَ مَبْلَغَ الشَّابِّ ،
دَفَعَتْهُ نَفْسُهُ الشَّرِيرَةُ إِلَى أَنْ يَقْتُلَ الْمُصَوِّرَ الَّذِي قَدَّمَ لَهُ فَضْلًا ،
وَأَسَدَى إِلَيْهِ جَمِيلًا ؛ وَذَلِكَ سُوءُ الْجَزَاءِ . »

ثُمَّ يُنْشِدُ :

« قَدْ حَدَّثْتَنَا أَصْدَقُ الْأَمْثَالِ فِيمَا مَضَى مِنَ الزَّمَانِ الْخَالِ
بِقِصَّةِ ثُرَوَى عَنِ الْمُصَوِّرِ أَبْصَرَ - فِي وَكْرٍ مِنَ الْوُكُورِ -
فَرَّخَ غُرَابٍ مُشْرِفًا عَلَى التَّلَفِ قَالَ لِلْفَرَّخِ : اطْمَئِنَّ ، لَا تَخَفِ
وَأَدَامَا الْفَرَّخُ ، وَدَاوَاهُ ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِ ، حَتَّى شَفَاهُ مِنَ أَلَمِ
وَكَانَ عِنْدَهُ الْغَزِيرُ الْعَالِي وَأَكْرَمَ الْأَبْنَاءِ وَالْعِيَالِ
حَتَّى إِذَا الْفَرَّخُ عَمِدَا غُرَابًا لَمْ يَر - غَيْرَ قَتْلِهِ - ثَوَابًا
وَأَهْلَكَ الْغُرَابُ مِنْ رَبَاهُ جَزَاءَ مَا قَدَّمَ مِنْ حُسْنَاهُ . »

فَصَحَّحَ « لِرُ » مُتَجَبِّيًا : « وَمَاذَا تَنِي بِهِذِهِ الْقِصَّةِ ، يَا بُهْلُولُ ؟ »
فَأَجَابَهُ ضَاحِكًا :
« أَرَأَيْكَ - يَا عَمَّ - فَعَلْتَ فَعْلَهُ وَسَوْفَ تُجْزَى فِي الْحَيَاةِ مِثْلَهُ
أَنْتَ شَبِيهُ ذَلِكَ الْمُصَوِّرِ . »
فَصَرَخَ « لِرُ » بِتَوَعُّدِهِ بِالْوَيْلِ (الْمَذَابِ وَالْهَلَاكِ) ، إِذَا تَمَادَى
فِي دُعَائِهِ (مُزَاحٍ) . قَالَ « الْبُهْلُولُ » ضَاحِكًا :
« أُعْطِيكَ - إِنْ كَذَّبْتَنِي - طُرْطُورِي ! »

٧ - حَاشِيَةِ الْمَلِكِ

وَمَا أَسْرَعَ مَا تَحَقَّقَتْ فِرَاسَةُ « الْبُهْلُولِ » ؛ فَإِنَّ « جُنْرِيلَ » :
تِلْكَ الْبَيْتَ الْخَيْثَةَ الْمَاقَةَ (الَّتِي لَمْ تُرَاعَ حَقَّ الْأُبُوءِ) ، لَمْ تَشَأْ
أَنْ تَتْرَكَ أَبَاهَا يَقْضِي بَقِيَّةَ حَيَاتِهِ وَإِعْمَا هَانًا مُسْتَرِجَ الْقَلْبِ ،
وَأَبَى عَلَيْهَا حُبُّهَا وَلَوْمْ طَنَبَهَا إِلَّا أَنْ تُنْقَضَ عَلَيْهِ عَيْشُهُ ، وَتُكْدَّرَ
عَلَيْهِ صَمَوَاتُ حَيَاتِهِ . وَقَدْ اسْتَدْعَتْهُ إِلَيْهَا بَعْدَ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ ، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ :
« لَقَدْ مَلَأْتَ حَاشِيَتَكَ - لِكثْرَةِ عَدَدِهَا - قَصْرِي ، وَأَصْبَحْتُ

لَا أُطِيقُ جَلْبَتَهُمْ وَصَوَاعَهُمْ (أَسْوَائُهُمُ الْعَالِيَةَ) بِدَ هَذَا الْيَوْمِ .
وَأَرَاكَ جَدِيرًا أَنْ تَتَخَيَّرَ نَخْبَةً (خَلَاصَةً) قَلِيلَةً - عَلَى نَصِّ سِنِكَ
(فِي مِثْلِ عُمَرِكَ) - لِمُرَاقَبَتِكَ ، إِنْ شِئْتَ .

٨ - دَعْوَةُ « لَيْر »

فَنَضِيبَ الْمَلِكِ « لَيْر » مِمَّا قَالَتْهُ بِنْتُهُ ، وَقَالَ لَهَا :
« إِنْ حَاشَيْتِي جَمِيعًا مِنْ خَيْرَةِ النَّاسِ أَدَبًا وَمَعْرِفَةً ، وَلَيْسَ فِي أَسْتَطَاعَةِ
أَحَدٍ أَنْ يَتَّهِمَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ التَّهْمَةِ الْكَافِرَةِ .
ثُمَّ أَمَرَ الْمَلِكُ بِاسْتِدْفَافِ جِيَادِهِ (خَيْلِهِ) وَإِسْرَاجِهَا ، مُعْتَمِرًا أَنْ
يُنَادِرَ بِنْتَهُ عَلَى الْقَوْرِ ، وَالتَّفَتَ إِلَيْهَا عَائِسًا ، وَقَالَ :
« لَمْ يَبْقَ فِي مَقْدُورِي أَنْ أَصِيرَ عَلَى هَذَا التَّجَنِّي (ادِّعَاءِ التَّهْمِ) ،
يَا « جُنْدَرِيل » . وَلَئِنْ لِأَحْمَدَ اللَّهِ عَلَى أَنْ رَزَقَنِي بِنْتًا أُخْرَى غَيْرِكَ ،
تُكْرِمُ وَفَادَتِي (قُدُّومِي عَلَيْهَا) ، وَتَقْدُرُ أَبُوَّتِي لَهَا ، وَتَعْرِفُ مِنْ حَقِّي
عَلَيْهَا مَا أَتُكْرِمُهُ أَنْتِ ، آيَتُهَا الْعَاقَةُ الْجَاكِدَةُ .
ثُمَّ دَعَا عَلَى بِنْتِهِ « جُنْدَرِيل » أَنْ يُصِيبَهَا اللَّهُ بِالنَّعَمِ ؛ فَلَا قَلِيلَ

مَدَى حَيَاتِهَا ، أَوْ يَرْزُقَهَا بِشَرِّ الْأَبْنَاءِ ؛ لِيَجْزِيَهَا مِثْلَ هَذَا الْجَزَاءِ
الْقَادِرِ ، وَأَنْ تَمُوتَ شَرَّ مَيِّتَةٍ .

٩ - دُعَاةُ « الْبُهْلُولِ »

وَحَشَى « الْبُهْلُولُ » أَنْ يَطْنِي الْحَزْنَ عَلَى قَلْبِ « لَيْر » .
فِيهِلَكَ ؛ فَجَرَى - عَلَى عَادَتِهِ - فِي مُدَاعَبَتِهِ (مُحَازَحَتِهِ) ، وَرَاحَ
يُفَنِّئُهُ مُنْشِدًا :
« يَا لَيْتَ لِي - يَا نَعَمْ - طُرْطُورَيْنِ ! أُعْطِيكَ طُرْطُورًا مِنَ الْإِمْنَيْنِ
وَأَجْعَلَ الْآخَرَ نُصْبَ عَيْنِي .
قَالَ : « وَمَاذَا أَصْنَعُ بِطُرْطُورِكَ ، يَا « بُهْلُولُ » ؟ سَمِعْتُهَا مِمَّا نُصِبَ
عَيْنُكَ (أَمَلْتُهَا) ! »
فَأَجَابَهُ صَاحِكًا : « إِنْ بَنَيْتَكَ لَا تُعْطِيَانِكَ شَيْئًا لَوْ طَلَبْتُهُ .
وَمَا أَحَقَّكَ بِأَنْ تَرُوَيَ خَدَيْكَ (تَبْلُغُهَا) بِدَمْعَتَيْنِ ، جَزَاءَ خَطِّكَ فِي
تُرُوكِكَ لَهَا عَنْ الْمَلِكِ . » ثُمَّ أُنْشَدَهُ :
« أُطْلِبُهُ - إِنْ شِئْتَ - مِنَ الْبَيْتَيْنِ ! أَلَسْتَ أَسْكَنْتَهُمَا قَصْرَيْنِ ؟

أَلَسْتُ أُعْطِيتُهَا تَاجِينَ ؟ ثُمَّ وَهَبْتَ الْمَلِكَ ذَبْتَيْنِ ؟
فَالْيَوْمَ تَلْقَى أَوَّلَ النَّصَمَيْنِ تَخْلِكَ مِنْ بَيْتٍ مِنَ الْبَيْتَيْنِ
وَفِي غَدٍ تَشْقَى بِطَرْدَتَيْنِ جَزَاءَ مَا أَخْطَأْتَ فِي حُكْمَتَيْنِ
إِنَّكَ قَدْ خُدِعْتَ خُدْعَتَيْنِ فَرَوْا خَدَيْكَ بِدَمْعَتَيْنِ
وَابْكِ عَلَى نَفْسِكَ مَرَّتَيْنِ .

قَالَ لَهُ « لِير » :

« مَا أَصْدَقَ مَا أَقُولُ ، أَيُّهَا الْمَجْنُونُ الْعَاقِلُ ! وَلَكِنْ فَاتَ وَقْتُ
النَّدَمِ ، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ حِلَّةٍ فِي رَدِّ مَا فَاتَ . عَلَى أَنْ بَنَيْتِ الثَّانِيَةَ
طَبِيعَةَ الْقَلْبِ ، وَلَنْ تَدْخِرَ (لَنْ تُنْقِى) وَسْطًا فِي إِسْعَادِي ، وَتَوْفِيرِ
جَالِيَاتِ الْبُهْجَةِ (أَسَابِغِ الشُّرُورِ) لِي .
وَسُرِّيكَ الْأَيَّامُ صِدْقَ مَا أَقُولُ . »

١٠ - عِنْدَ « رِيحَان »

واعتزَمَ الْمَلِكُ « لِير » أَنْ يَقْضِيَ بَقِيَّةَ عُمْرِهِ فِي قَصْرِ بَنَتْهُ
الثَّانِيَةَ « رِيحَان » ؛ فَبَعَثَ إِلَيْهَا رَسُولَهُ الْوَزِيرَ « كَنْت » ، بِكِتَابٍ

يُنَبِّئُهَا (يُخْبِرُهَا) فِيهِ بِمَا اعْتَزَمَهُ وَقَرَّرَهُ ، وَيَدْعُهَا بِالذَّهَابِ إِلَيْهَا بَعْدَ
وَقْتٍ قَلِيلٍ .

وَلَمْ يَكْذِبِ الْوَزِيرُ « كَنْت » ، يَنْبُلُغُ قَصْرَ « رِيحَان » ، وَيُقْضَى
إِلَيْهَا (يُخْبِرُهَا) بِمَا لَقِيَ أَبُوهَا الشَّيْخَ « لِير » مِنْ عُقُوبِ (إِنْكَارِ
لِحَقِّهِ) ، حَتَّى جَاءَ رَسُولٌ مِنْ أُنْثَى « جُنْرِيل » ، وَأَسْلَمَهَا كِتَابَهَا
الَّذِي بَعَثَتْ بِهِ إِلَيْهَا ، تُوصِيهَا بِأَيِّهَا شَرًّا ، وَتُؤَيِّرُ صَدْرَهَا
(تُشِيرُ غَضَبَهَا) عَلَيْهِ ، وَتُدَبِّرُ لَهَا خُطَّةً خَبِيثَةً لِلْخُلَاصِ مِنْهُ وَمِنْ
أَتْبَاعِهِ وَحَاشِيَتِهِ .

١١ - حَبَسُ الْوَزِيرِ

وَمَا أَكْمَتْ « رِيحَان » كِتَابَ أُخْتِهَا قِرَاءَةً حَتَّى أَغْلَظَتِ الْقَوْلَ
لِرَسُولِ أَيْهَا . فَلَمَّا سَأَلَ أَنْ يُدَكَّرَ بِمَا لِأَيِّهَا عَلَيْهَا مِنْ فُرُوضِ
وَحُقُوقِ ، ثَارَتْ فِي وَجْهِهِ مُنْضَبَةٌ ، وَأَمَرَتْ بِجَبْنِهِ فِي سِجْنٍ مُظْلِمٍ ،
جَزَاءَ لَهُ عَلَى جُرْأَتِهِ .

١٢ - مَقْدَمُ « لِير »

وَبَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الزَّمَنِ قَدِمَ عَلَيْهَا الشَّيْخُ « لِير ». وما عَلِمَ
أَنَّ رَسُولَهُ قَدْ سَجِنَ ، وَأَنَّ بِنْتَهُ « رِيحَانَ » هِيَ الَّتِي أَمَرَتْ بِحَبْسِهِ ،
حَتَّى زَادَ هِاجَهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ عَلَيْهَا .
قَالَتْ لَهُ « رِيحَانُ » :

« خَفْتُ مِنْ سُخْطِكَ - أَيُّهَا الْوَالِدُ الشَّيْخُ - فَمَا أَظُنُّ أَنَّ
أَخِي قَدْ أَخْرَجَكَ مِنْ قَصْرِهَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ قَدْ صَبَرْنَا مِنْ لَجَاجَةِ
اتِّبَاعِكَ (تَخَاصُمِهِمْ) وَصَحْبِهِمْ (صَيْحَاتِهِمْ) ، وَضَاقَ ذَرْعُهَا
(ضَجِرَتْ) بِمَا اقْتَرَفُوهُ (ارتكَبُوهُ) مِنْ شُرُورٍ وَأَثَامٍ .
وَهِيَ - بِإِلَاحَتِكَ - فِي سَعَةِ مِنَ الثَّدْرِ ، لِأَنَّ قُصُورَ الْمُلُوكِ جَدِيرَةٌ
أَنْ تُنَزَّهَ (مُبَرَّأً وَتُخْلَصَ) مِنْ عَبَثِ الْمَائِثِينَ ، وَلَهُوَ الْهَازِرِينَ
(السَّاحِرِينَ فِي الْقَوْلِ) . »

١٣ - حُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ

لَمْ يَسْتَطِعْ « لِير » أَنْ يُبَدِّقَ مَا سَمِعَهُ أَذْنَاهُ مِنْ بِنْتِهِ الثَّانِيَةِ ،

بَعْدَ مَا رَأَاهُ مِنْ حُقُوقِ بِنْتِهِ الْأُولَى ؛ فَخَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ حَالِمٌ ،
وَكَادَ يُغْمَى عَلَيْهِ مِنْ قَرَطِ الْأَسَى وَالْحُزَنِ . وَلَكِنَّهُ لَمْ يَرَ فِي الْجَزَعِ
(شِدَّةِ الْحُزَنِ) فَائِدَةً ؛ فَاعْتَصَمَ بِالصَّبْرِ (لَجَأَ إِلَيْهِ) - مَا وَسَّعَهُ حِلْمُهُ -
وَقَالَ لِبِنْتِهِ ، وَهُوَ يُقَالِبُ الدَّمْعَ جَاهِدًا :

« مَا أَظُنُّ أَنَّكَ - مَهْمَا عَقَّقْتَ أَبَاكَ - بِالْفَقْرِ بَعْضَ مَا بَلَغْتَهُ
أَخْتُكَ مِنْ جُودٍ وَعَقُوقٍ !
وَإِنِّي لِأَحَالُ أَنَّكَ أَقْرَبُ إِلَى الْبِرِّ بِأَيْلِكَ ، وَأَذْنَى إِلَى الْوَفَاءِ وَالْحَقِّ
عَلَيْهِ ، وَالْإِشْفَاقِ عَلَى شَيْخُوخَتِهِ . فَحَافِظِي أَنْ تَنْهَجِي نَهْجَ « جُبْرِيلِ »
(تَتَّبِعِي طَرِيقَهَا) ، فَتُخَيِّسِي تَأْمِيلَ أَيْلِكَ ، وَتَمْلِكِي قَلْبَهُ يَأْسًا ؛
بَعْدَ أَنْ وَهَبَ إِلَيْكَ أَثْمَنَ مَا يَمْلِكُ ، وَلَمْ يَصْنْ (لَمْ يَبْتَخُلْ) عَلَيْكَ
بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ مِنْ مُلْكٍ وَجَاهٍ وَمَالٍ . »

١٤ - مَقْدَمُ « جُبْرِيلِ »

وَمَا أَتَمَّ قَوْلَهُ ، حَتَّى قَدِمَتْ بِنْتُهُ « جُبْرِيلُ » ؛ فَانْقَضَتْ
إِلَى أُخْتِهَا « رِيحَانَ » ، وَظَلَّتْ تُوَعِّرُ صَدْرَهَا عَلَى أَيْمِهَا الشَّيْخَ ؛ حَتَّى

فَمَا عَلَيْهِ قَلْبُهَا مَرَّةً أُخْرَى ، وَسَارَتْ مَعَهَا فِي الْعُقُوقِ إِلَى
أَبْنَدٍ مَدَى .

قَالَتْ « رِيحَانُ » : « لَقَدْ اسْتَكْرَتْ عَلَيْكَ أُخْتِي أَنْ تَكُونَ
حَاشِيَتَكَ مُؤَلَّفَةً مِنْ خُسَيْنٍ فَارِسًا . أَمَّا أَنَا ، فَأَسْتَكْرِ عَلَيْكَ
نِصْفَ هَذَا الْمَدَدِ ، وَأَرَى أَنْ خَمْسَةَ وَعِشْرِينَ فَارِسًا كَثِيرٌ
عَلَيْكَ . وَمَا أَذْرِي : مَا حَاجَةٌ مِثْلَكَ - أَيُّهَا الشَّيْخُ - إِلَى مِثْلِ
هَذَا الْمَدَدِ مِنَ الْحُرَّاسِ وَالْجُنْدِ ؟ بَلْ مَا حَاجَتُكَ إِلَى عَشْرَةِ
فُرْسَانٍ ؟ بَلْ إِنِّي لَأَسْتَكْرِ عَلَيْكَ خَمْسَةً !

صَدَّقْنِي إِنَّكَ لَنْ تَحْتَاجَ إِلَى فَارِسٍ وَاحِدٍ ، فَكَيْفَ يَجْمَعُ
مِنْ الْفُرْسَانِ ؟ إِنْ خَدَمِي لِيُؤَدُّونَ لَكَ - أَيُّهَا الشَّيْخُ - كُلَّ
مَا تُرِيدُ ؛ فَمَا انْتِفَاعُ مِثْلِكَ بِالْحَاشِيَةِ ؟ »

١٥ - غَضَبَةُ الشَّيْخِ

وَتَمَّ (هُنَا) أَذْرَكَ الشَّيْخُ « لِير » ، أَنَّ ابْنَتَهُ الثَّانِيَةَ لَيْسَتْ
أَبْرَ بِهِ مِنَ الْأَوَّلَى ؛ فَاسْتَدَّ عَلَى بَنْتِهِ سُخْطُهُ ، وَدَعَا عَلَيْهِمَا جَمِيعًا

أَنْ تَلْقِيَا الْجَزَاءَ الْعَادِلَ ، وَأَنْذَرَهُمَا بِسُوءِ الْمَصِيرِ .

وَلَا تَسَلْ عَمَّا اسْتَوَلَى عَلَى قَلْبِهِ مِنَ الْيَأْسِ ، بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ
مَنْ عَذَرِ بَنْتَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَخْطُرَ لَهُ عَلَى بَالٍ ؛ فَصَاحَ مُتَأَلِّمًا
مَحْزُونًا : « أَخْرِجَا مَعِيَ رَسُولِي وَبُهْلُولِي ، وَلَنْ تَرَيَانِي بَعْدَ
الْيَوْمِ ! »

لِجَوَادِهِ الْعَنَانِ، وَقَدْ كَادَ النَّيَّاسُ يُذْهِلُهُ، وَبَدَا عَلَيْهِ الْخَبَالُ (اِخْتِلَاطُ
النَّعْلِ)؛ فَلَمْ يُبَالِ الرَّهْمِيرِي (بُلُوغُ الْبَرْدِ أَقْصَاهُ)، وَلَمْ يُشْفِقْ
عَلَى شَيْخُوخَتِهِ الْمُهْدَمَةِ، مُؤَثِّرًا (مُخْتَارًا) أَنْ يُهْلِكَ الْبَرْدُ، عَلَى
أَنْ تُذِلَّهُ يَنْتَاهُ.

وَوَظَلَّ بُلُوْحُ بِذِرَاعَيْهِ فِي الْقَضَاءِ كَأَنَّمَا يَتَوَعَّدُهُمَا، وَبُيْمِلُ رَأْسُهُ
إِلَى الْخَلْفِ، وَيَصْبِيحُ مُنْضَبًا حَاقِيًا، حَتَّى لِيَحْسَبَ مَنْ يَرَاهُ أَنَّ بِهِ
مَسًّا مِنَ الْجُنُونِ. وَلَمْ يَبْقَ مَعَ الشَّيْخِ «لِير» - فِي مِحْنَتِهِ - غَيْرُ
صَاحِبِيهِ الْمُخْلِصِينَ: «كَنت» و«الْبُهْلُول».

٢ - الْأَعَاصِيرُ وَالرُّعُودُ

وَأُشْتَدَّتِ الرُّوْبَعَةُ غُنْفًا، وَتَحَدَّرَ الْمَطَرُ (سَقَطَ)، ثُمَّ هَمَى
(تَرَلَّ بِكَثْرَةٍ) كَأَنَّهُ السَّيْلُ الْجَارِفُ، وَجَلَجَلَتِ الرُّعُودُ الْقَاصِفَةُ،
وَدَوَّتِ الرِّيَّاحُ الْعَاتِيَةُ (الْعَنِيفَةُ)، وَخَيَّلَ إِلَى النَّاسِ أَنَّ الْبَرَائِكِينَ
اقْتَحَرَتْ، وَأَنَّ الْكَوَاكِبَ انْتَشَرَتْ (تَافَقَتْ)، وَأَنَّ الْجَحِيمَ
سُعِرَتْ (الْتَهَبَتْ). وَبَدَا ذَلِكَ الشَّيْخُ الْهِمُّ (الْهَرَمُ)، وَقَدْ قَفَّ

الفصل الثالث

١ - هُبُوبُ الْقَاصِفَةِ



كَانَتْ اللَّيْلَةُ عَاصِفَةً، قَارِسَةً (شَدِيدَةَ الْبَرْدِ). وَقَدْ أَدْرَكَ
الشَّيْخُ «لِير» أَنَّ يَنْتَهِي التَّادِرَتَيْنِ قَدْ أَسْلَمَتْهُ إِلَى تِلْكَ الزَّوَابِعِ
الْثَّائِرَةِ، وَالْأَعَاصِيرِ الْهَاجِعَةِ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُمَا فِيهِ رَحْمَةً؛ فَأَسْلَمَ

شَعْرُهُ (وَقَفَ) ، وَتَقَوَّسَ ظَهْرُهُ ، وَانْحَنَتْ قَامَتُهُ الْمَدِيدَةُ ، بَعْدَ أَنْ
أَلَحَّتْ عَلَيْهِ جَالِبَاتُ الدَّمَارِ (مُسَبِّبَاتُ الْهَلَاكِ) ، وَعَصَفَتْ بِهِ
عاصِفَاتُ الْأَقْدَارِ .

٣ - نَشِيدُ الْعَاصِفَةِ

وَكَانَ الشَّيْخُ « لِير » يَصْرُحُ مُتَحَدِّيًا هَذِهِ الْقُوَى الْعَالِيَةَ الْمُتَالِفَةَ
(الْمُتَجَمِّعَةَ) عَلَيْهِ ، مُصَيِّحًا صِيحَاتٍ مُفْرَعَةً هَائِلَةً ، وَهُوَ يَقُولُ :
« هُبِّي أَيْتُهَا الرِّيحُ الْقَاسِيَةَ الْعَنِيفَةَ ، الَّتِي تُهْلِكُ الْمَدَائِنَ ، وَتُقْسِدُ
الْأَرْضِينَ : الْمُتَنَبِّطَةَ مِنْهَا ، وَالْمَمْلُوءَةَ أَحْيَارًا وَرِمَالًا ، وَالَّتِي
لَا زَرْعَ فِيهَا وَلَا نَبَاتَ . ثُمَّ أَنْزِلِي مَطَرَكِ ، يُطْغَى الْأَنْبِيَةَ الْعَالِيَةَ ، وَيُغْرِقُ
الْأَرَاضِيَ الْمَرْزُوعَةَ . » ثُمَّ يُنْشِدُ مَتَوَعَّدًا :

« زَوَابِعُ الْأَمْطَارِ : هُبِّي مَعَ الْأَعْصَارِ
فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ . عَاصِفَةٌ مِنْ نَارِ
مَرْهُوبَةِ الدَّمَارِ تَأْتِي عَلَى الْأَمْصَارِ
وَالسَّهْلِ وَالْقِفَارِ

وَأَمْطِرِي ثُلُوجًا تَجَلَّلُ الْبُرُوجَا
وَتُفْرِقُ الْعُرُوجَا .

وَتَشْتَدُّ الْعَاصِفَةُ هُبُوبًا ، وَتَزَارُّ الرَّعْدُ مُجَلِّجًا قَاصِفًا ، وَيَزِقُّ
الْبَرْقُ ، يَكَادُ سَنَاةُ (ضَوْؤُهُ) يَخْطَفُ الْأَبْصَارَ ، وَيُوْهِمُ مَنْ يَرَاهُ
أَنَّ الْكَرَّةَ الْأَرْضِيَّةَ تَهْتَزُّ مِنْ أَفْطَارِهَا (جَوَانِبِهَا) ، وَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ
زُلْزِلَتْ زَلْزَالَهَا . فَيَشْتَدُّ صِيَاحُ الشَّيْخِ ، وَهُوَ يَقُولُ : « دَوِّي - أَيْتُهَا
الرَّيْحُ - وَعَوِّي ، وَدَمَّرِي بَيْتِي وَبَنِيَّ ، عَنَيْتُ (قَصَدْتُ) الذُّبَابَيْنِ .
ثُمَّ أَتَشْنِي (عُودِي) إِلَيَّ ، فَأَمْطِرِي جَاحَكَ الْعَتَى (نَارَكَ الْمُوقَدَةَ) ،
كِفَاءَ حَيْتَيَّ (عَلَى قَدْرِهِمَا) ، فِي ظُلْمِ الْحَسَنِ بِهِمَا . » ثُمَّ أُنْشَدَ :

« يَارَيْحُ : دَوِّي ، دَوِّي يَا رُعُودَ الْجَوِّ :
لَا تَهْدِي ، وَعَوِّي وَانْتَرَعِي حُسُوءِي
وَأَحْرِقِي عَسَدُوءِي

...

وَدَمَّرِي بَيْتِيَا وَأَهْلِي بَيْتِيَا
عَنَيْتُ : ذُبْنِيَا ثُمَّ أَتَشْنِي إِلَيَا

فَأَمَطَرِي عَلَيَا جَاحِكِ . الْمَتِيَا
جَزَاءَ خُدَعَتِيَا وَالْهَبِي جَنْبِيَا
صِفَاءَ خَيْبَتِيَا .

ثُمَّ تَعَاوَدَهُ الذِّكْرِيَاتُ الْمُؤَلِّمَةُ ، وَتَرَدَّدَتْ فِي سَمْعِهِ كَلِمَاتُ بِنْتِهِ
الَّتِي كَانَتْ تُلْقَاهُ بِهَا - لَتَسْتَوِلِيَا عَلَى مُلْكِهِ - وَيُجَابِلُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا رَأَى
مِنْ عَذْرَاهَا بِهِ ، وَاسْتِهَانَتِهَا بِخَطَرِهِ (قَدَرِهِ وَقِيَمَتِهِ) ؛ فَيَسْتَأْتِفُ
صِيَابَهَا مُفْرَعًا ، وَتَهْوِلُ مُؤُولًا مُرَوَّعًا :
« لَقَدْ خَدَعَنِي مَا نَمَقَّتْ (مَا زَيَّنَتْ) بِنْتَائِي مِنَ الْكَلَامِ ، وَقَدْ
دَهَانِي مَا دَهَانِي (أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي) ، جَزَاءَ مَا صَنَعْتُ فِي الْإِنْتِدَاعِ
بِهَا . فَيَأْتِيَتْهَا الرِّيَاحُ : اسْتَدْنِي حَتَّى تَنْسِي (تُدْمِرِي) الشَّامِخَاتِ
(الْجِبَالِ الْعَالِيَةِ) . » ثُمَّ أَتَشَدُّ :

« لَيْلِي الَّذِي أَغْرَأَ مَا نَمَقَّتْ بِنْتَائِي
دَهَاهُ مَا دَهَاهُ جَزَاءَ مَا أَفْضَاهُ
وَقَدَمْتُ يَدَاهُ

دَوَى رِيَابِيَا قَاصِفَةً وَالْهَيْسِيَا عَاصِفَةً
لِلشَّامِخَاتِ نَاسِفَةً . »

٤ - آلامُ الشَّيْخِ

وَهَكَذَا فَصَّى الشَّيْخُ لَيْلَةً مُرَوَّعَةً ، وَهُوَ هَائِمٌ عَلَى وَجْهِهِ ،
كَأَنَّهُ نِصْفُ مَجْنُونٍ ، وَمِمَّا لَحِقَهُ مِنَ الْأَلَامِ الْمَبْرَحَةِ (الْمُضْنِيَةِ) ،
وَالْأَخْدَاتِ الْهَائِلَةِ .

وَلَقَدْ بَدَّلَ وَزِيرُهُ الْمُخْلِصُ « كُنْتُ » كُلَّ مَا فِي وَسْطِهِ ، لِتَرْفِيهِ
(لِتَخْفِيفِ) عَنْ مُلْكِهِ ، وَتَهْوِينَ مُصَابِيهِ عَلَيْهِ ، مَا وَسَّعَتْهُ حِيلَتُهُ .
وَأَفْتَنَ « الْبُهْلُولُ » فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ ؛ لِيُذْهِلَّهُ عَنْ تَكَبُّبِهِ ، وَيُقِنِّدَهُ مِنْ
هَوْلِ الْجُنُونِ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يَحُلَّ بِهِ ، كَمَا تَوَسَّلَ إِلَيْهِ أَنْ يُقْبَلَ
رَجَاهُ ، فَيَأْوِيَ مَعَهُ إِلَى خُصٍّ (يَنْتِ مِنَ الشَّجَرِ) قَرِيبٍ ، حَتَّى
تَنْتَهِيَ تِلْكَ الْمَوَاصِفُ الْهَوُجُ (النَّائِرَةُ) .

وَمَا زَالَ بِهِ حَتَّى أَطَاعَهُ ، وَسَارَ مَعَهُ مُيَمِّمًا (قَاصِدًا) ذَلِكَ
الْكُوْخَ ، وَهُوَ يُنَاجِي نَفْسَهُ مَحْزُونًا : « أَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تَطْرُدُنِي
بِنْتَائِي ؟ أَفِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تُغْلِقُ دُونِي أَبْوَابُهَا ؟
وَأَمِنْ مَنِكَ يَا « رِيَجَانُ » ، وَتَبَّأَ (هَلَاكَ) لَكَ يَا « جُنْدِيلُ » !

أَهَكَذَا تَجْزِيَانِ بِالْجُحُودِ أَبَا كَمَا التَّضَيِّقِ ، الَّذِي وَهَبَكَا كُلَّ
مَا مَلَكَ ؟ إِنَّ عَاصِفَةَ الْجَوِّ — عَلَى قَتَرِيهَا — لَأَهْوَنُ مِنْ هُنَا
الْمَاصِفَةِ الَّتِي أَتْرُسَاهَا فِي نَفْسِ أَيْكُمَا ، بِمَا أَسْلَفْتُمَا (قَدَمْتُمَا) إِلَيْهِ
مِنْ جُحُودٍ وَعُقُوقٍ !

وَلَمَّا دَنَوْا مِنَ الْخَصِّ ، قَالَ الْمَلِكُ « لِير » :

« إِنَّ أَخْفَرَ الْأَشْيَاءِ لِيُصْبِحُ عَظِيمَ الْقَدْرِ ، جَلِيلَ الْخَطَرِ ، مَتَى
اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ الْحَاجَةُ . فَلَا عَجَبَ إِذَا عَدَدْنَا (قَدَرْنَا) الظَّفَرَ بِهَذَا
الْخَصِّ غُنْمًا كَبِيرًا ، فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ !

ه — أَنْشُودَةُ « الْبُهْلُولِ »

وَأَسْتَمِعَ الْمَلِكُ « لِير » إِلَى صَوْتِ مُغَنٍّ يَفْتَرِبُ مِنْهُ ؛ فَالْتَمَسَتْ ،
فَإِذَا بِهِ « الْبُهْلُولُ » ، يَظَاهَرُ بِالرُّرُورِ ، وَيَتَكَلَّفُ التَّرَحَّ (شِدَّةَ
الْفَرَحِ) ، وَيَلْتَفِتُ إِلَى مَوْلَاهُ مُنْشِدًا :

« قَسَمْتُ — بِالْأَمْسِ — مُلْكًا يَا « لِير » ، أَظْلَمَ قِسْمُهُ !
أَفْصَيْتُ كُلَّ عَلِيمٍ جَهْلًا ، وَأَنْكَرْتُ عِلْمَهُ
وَرُوْحَتَهُ تَدْنِي لَيْمًا بِالْمَدْحِ يَسْتُرُ لَوْْمَهُ

يَا مُظْمِيَّ النُّورِ : مَهْلًا ، شَرَيْتَ بِالنُّورِ ظُلْمَةً !
قَالَ الشَّيْخُ مَذْهُوعًا :

« تَمَّ : لَقَدْ أَفْصَيْتُ (أَبْعَدْتُ) الْعَلِيمَ ، وَأَذْنَيْتُ (قَرَّبْتُ)
اللَّيْمَ . لَقَدْ أَحْسَنْتَ التَّعْيِيرَ عَمَّا كُنْتُ أَفْكُرُ فِيهِ الْآنَ ، وَصَدَقْتَ
فِي إِظْهَارِ مَا نَاجَيْتُ بِهِ نَفْسِي (مَا حَدَّثْتُهَا سِرًّا) فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ .

فَمَا أَبْرَعَكَ بِأَيْكَا وَمُغْنِيًا ، وَمَا أَظْرَفَكَ جَادًّا وَهَازِلًا !

قَالَ « الْبُهْلُولُ » : « إِنِّي أَكْثَرُ النَّاسِ حِفْظًا لِمَهْدِكَ ، وَأَخْلَصَ
الْأَصْدِقَاءَ لَكَ . وَإِنِّي ذُو عِزٍّ قَوِيٍّ ، وَهَيْئَةٍ عَظِيمَةٍ ، وَرَأْيٍ صَائِبٍ .
وَلَوْ تَرَكْتَنِي أَحْكُمُ وَأَبْرِمُ (أَجْعَلُ حُكْمِي نَافِذًا) ، لَبَسْتَ مُلْكَكَ
قِسْمَةً عَادِلَةً حَكِيمَةً .

ثُمَّ اسْتَأْذَنَ « الْبُهْلُولُ » غِنَاءَهُ مُنْشِدًا :

« بُهْلُولُ : مَجْنُونُ « لِير » ، أَبْرُ عَنْهُدًا وَدِئْمَةً
أَوْفَى الْأَخِيْلَاءِ قَلْبًا وَأَصْدَقُ الصَّغْبِ عِزْمَةً
وَأَحْسَنُ التَّقْوَمِ رَأْيًا وَأَبْدُ النَّاسِ هَيْئَةً
لَوْ كَانَ مَجْنُونُ « لِير » بَقِيضِي ، وَيَبْرِمُ حُكْمَهُ
لَكَانَ أَعْدَلُ قِسْمَةً مِنْهُ ، وَأَوْفَرُ حِكْمَهُ .

٦ - شيطان الغابة

وَلَمَّا بَلَغَ الْمَلِكُ وَرَفِيقَاهُ ذَلِكَ الْخَصْصَ، أَسْرَعَ «الْبُهْلُولُ» إِلَى دُخُولِهِ لِيُرْنَاهُ (لِيَتَرَفَّهُ وَيَخْتَرَهُ) لِصَاحِبِهِ . وَمَا كَادَ يَقْمَلُ حَتَّى عَادَ إِلَيْهِمَا مُسْرِعًا ، وَهُوَ يَقُولُ :

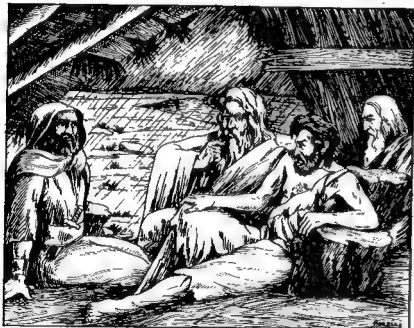
« حَذَارِ أَيُّهَا الرِّفْقَانِ ، فَقَدْ رَأَيْتُ فِي ذَلِكَ الْخَصْصِ شَيْطَانًا مَرِيدًا (عَنِيدًا قَاسِيًا) . وَهُوَ يَزْعُمُ أَنَّ اسْمَهُ « تَوْم » ، وَيَلْقَبُ قَسَّهُ بِالْمِسْكِينِ . وَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلَيْهِ سِمَةَ الْخَبَالِ (عَلَامَةَ الْجُنُونِ) ؛ فَهُوَ مَخْبُولٌ إِنْ كَانَ إِنْسِيًّا (مِنْ النَّاسِ) ، وَإِذَا صَدَقَ حَدْسِي (تَخْمِينِي) ، وَصَحَّ ظَنِّي ، فَمَا هُوَ إِلَّا شَيْطَانُ هَذِهِ الْغَابَةِ . »

فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْخَصْصِ ذَلِكَ الشَّيْطَانُ الْمِسْكِينُ ، وَجَدُوهُ أَشْمَتَ أَغْبَرِ (مُتَلَبِّدَ الشَّعْرِ ، لَوْنُهُ كَلَوْنِ النَّبَارِ) ، عَارِيَ الْجِسْمِ إِلَّا مِنْ أَشْمَالٍ بَالِيَةٍ (أَثْوَابٍ مُهْلَهَلَةٍ قَدِيمَةٍ) ، تَلَوُّعُ عَلَيْهِ أَمَارَاتُ الْبُؤْسِ . فَصَاحَ بِهِ الْمَلِكُ « لِير » : « مَاذَا بَكَ ، أَيُّهَا الشَّيْخُ الْمِسْكِينُ ؟ هَلْ طَرَدْنَاكَ ابْتِنَاكَ مِنْ بَيْتِكَ ، بَعْدَ أَنْ أَوْرَسْتَهُمَا إِلَيْهِ ؟ »

فَأَجَابَ الرَّجُلُ مُتْبَاهِيًا : « أَنَا : تَوْمَ الْمِسْكِينِ . فَهَلُّوْا إِلَى بَيْتِي ، أَيُّهَا الرِّفَاقُ . »

٧ - الأمير الوفي

وَمَا اسْتَقَرَّ بِهِمُ الْمَقَامُ ، حَتَّى رَأَوْا شَيْخًا يَجُوسُ خِلَالَ الْأَصَابَةِ (يَمُرُّ فِي طُرُقَاتِهَا) ، وَفِي يَدِهِ مِشْعَلٌ يُنِيرُ لَهُ طَرِيقَهُ فِي الظَّلَامِ الْعَالِكِ .



وَمَا تَبَيَّنَ الْوَزِيرُ « كُنْتُ » ذَلِكَ الشَّيْخَ الْقَادِمَ ، حَتَّى عَرَفَ أَنَّهُ الْأَمِيرُ « جُلْثَر » . فَتَأَلَّاهُ عَنْ سَبَبِ مَقْدَمِهِ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْهَائِلَةِ .

قَالَ لَهُ : « لَقَدْ طَالَ بَحْنِي عَنْ أَمْلِكِ » لِير : « لَأَوِيَهُ (أُوْصِفُهُ)
فِي بَيْتٍ قَرِيبٍ مِنْ قَصْرِي ؛ حَتَّى لَا يَهْتَدِيَ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ الَّذِينَ
يَرْتَبِصُونَ بِهِ (يَنْتَظِرُونَ لَهُ الشَّرَّ) . وَإِنِّي لَيَحْزُنُنِي مَا أَرَاهُ عَلَيْهِ
مِنْ أَمَارَاتِ الْخَبَالِ (عَلَامَاتِ ضَعْفِ الْمَقْلِ) . »

قَالَ لَهُ « كُنْتُ » : « لَقَدْ أَصْبَحَ الشَّيْخُ أَقْرَبَ إِنْسَانٍ إِلَى الْجُنُونِ . »
قَالَ الْأَمِيرُ : « إِنْ نِصَفَ مَا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ (الْمَصَابِي)
لَيُسْلِمُ الْعَاقِلُ إِلَى الْجُنُونِ . »

٨ - فِي بَيْتِ الْأَمِيرِ

وَبَعْدَ حِوَارٍ (حَدِيثٍ) طَوِيلٍ ، ذَهَبَ الْجَمِيعُ إِلَى الْبَيْتِ الرَّيْغِيِّ
الَّذِي أَعَدَّهُ الْأَمِيرُ لِمُكْنَاهُمْ قَرِيبًا مِنْ قَصْرِهِ . ثُمَّ تَرَكَهُمْ مُسْتَأْذِنًا
عَلَى أَنَّ يَمُودَ إِلَيْهِمْ بَعْدَ قَلِيلٍ . وَجَلَسَ « لِير » مَعَ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ
عَادَ إِلَيْهِ خَبَالُهُ وَهَذْيَانُهُ ؛ فَنَمَثَلَ قَعْسَهُ قَاضِيًا يُحَاكِمُ بِنَتْنِهِ ، وَيَجْزِيهِمَا
بِمَا أَسْلَقْتَاهُ (قَدَمَتَاهُ) إِلَيْهِ مِنْ إِسَاءَةٍ وَعُتُوقٍ .

وَمَا زَالَ يَهْدِي حَتَّى خَارَتْ قُوَاهُ ، وَزَايَلَهُ رُشْدُهُ (فَارَقَهُ هُدَاهُ) ،
وَأَسْلَمَهُ الضَّنَى (سُوءُ الْحَالِ) وَالضَّعْفُ إِلَى تَوَهْمٍ عَمِيقٍ .

الفصل الرابع

١ - الْأَمِيرُ « جُلَسْتَر »

أَيُّهَا الْقَارِئُ الْكَرِيمُ :

لَا شَكَّ فِي أَنَّكَ تُحِبُّ أَنْ تَعْرِفَ مَنْ هُوَ الْأَمِيرُ « جُلَسْتَر »
الَّذِي عُيِّنَ (اُخْتِمَ) بِالْمَلِكِ « لِير » ، وَبَذَلَ لَهُ كُلَّ مَا فِي قُدْرَتِهِ مِنْ
رِعَايَةٍ وَإِكْرَامٍ . وَإِنِّي لَمُعَذُّكَ بِبَعْضِ حَدِيثِهِ الْمُحْزَنِ ؛ لِتَعْرِفَ
مَكَانَهُ مِنْ شُخُوصِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الْخَالِقَةِ .

كَانَ الْأَمِيرُ « جُلَسْتَر » شَدِيدَ الْوَفَاءِ لَمَلِكِهِ « لِير » . وَقَدْ حَزَنَ
لِأَسَابِهِ مِنْ نَكَبَاتٍ وَأَحْدَاثٍ ، وَبَكَى لِشَرِّهِ (لِسَقَطَتِهِ) . وَلَمْ
يَكُنْ يَمْدُلُهُ (يُسَاوِيهِ) - فِي إِخْلَاصِهِ وَوَفَائِهِ لَهُ - غَيْرُ « كُنْتُ » :
الْوَزِيرِ ، وَ« كُرْدِيَا » : صُغْرَى بَنَاتِ الْمَلِكِ « لِير » .

٢ - وَلِذَا الْأَمِيرِ

وَكَانَ لِهَذَا الْأَمِيرِ الْمَخْلَصِ الْوَفَى وَلِدَانٍ ، اسْمُهُمَا : « إِذْجَار »
وَاسْمُهُمَا الْآخَى : « إِذْمُنْد » . فَأَمَّا الْأَوَّلُ فَكَانَ مِثَالِ الْوَفَاءِ ، وَأَمَّا الْآخَرُ

فكان مثالَ الثَّقُوفِ . ولم يكنِ الثاني - عَلَى الْحَقِيقَةِ - وَلَهُ الْأَمِيرُ
« جُلُوسٌ » ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ مُنْسَبًا إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّهُ تَبَنَاهُ (اتَّخَذَهُ ابْنًا)
- مُنْذُ نَشَأَتِهِ - وَجَعَلَهُ صِنُوكَا (أَخًا) لِابْنِهِ « إِدْجَار » ، وبذلك له
كلُّ ما يَمْلِكُ من رِعايَةٍ وَتَهْذِيبٍ .
فلما كَبِرَ « إِدْمُنْدُ » نَسِيَ كُلَّ ما حَبَّاهُ بِهِ الْأَمِيرُ « جُلُوسٌ »
(ما أَعْطَاهُ إِيَّاهُ) ، ولم يكنْ لَهُ غَرَضٌ يَسْمَى إِلَى تَحْقِيقِهِ ، غَيْرُ
الْوِشَايَةِ (السَّمِيِّ بِالسُّوءِ) بِأَخِيهِ ، وَإِفْضَارِ صَدْرِ أَبِيهِ (إِشْغَالِهِ غَيْظًا)
عَلَيْهِ ؛ لِيَسْتَأْثِرَ وَخَدَهُ بِكُلِّ شَيْءٍ .

٣ - فِرَارُ « إِدْجَار »

وَدَبَّرَ ذَلِكَ الْوَلَدُ الْغَادِرُ : « إِدْمُنْدُ » مُؤَامَرَةً خَاسِيَةً لِإِصْهَاءِ
صَاحِبِهِ (إِبَادِهِ) عَنْ أَبِيهِ ؛ فَأَوْفَقَهُمُ الْأَمِيرُ أَنَّ وَلَدَهُ « إِدْجَار »
يَأْتُمِرُ بِهِ (يَتَأَوَّرُ قَسَةً فِيهِ) ، لِيَقْتُلَهُ طَمَعًا فِي ثَرَوَتِهِ الْعَظِيمَةِ ،
وَمَنْصِبِهِ الْخَطِيرِ . وما زالَ يُغَيِّرُهُ (يُطْمِئِنُّهُ) وَيُؤَلِّبُهُ (يُبَيِّرُهُ) ،
حَتَّى أَقْنَعَهُ بِصِدْقِ ما افْتَرَاهُ (ما اخْتَلَقَهُ) ، بَعْدَ أَنْ قَرَأَ عَلَيْهِ كِتَابًا

زَوْرَهُ وَعِزَاهُ (نَسَبَهُ) إِلَى أَخِيهِ . وقد أَفْلَحَتْ مُؤَامَرَتُهُ - بَعْدَ
قَلِيلٍ - فَهَرَبَ أَخُوهُ « إِدْجَار » ، فِرَارًا مِنْ سُخْطِ أَبِيهِ الَّذِي تَوَعَّدُهُ
بِالْقَتْلِ ، دُونَ أَنْ يَرْفَ لِعِصْيَانِهِ سَبِيًّا .

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْيَوْمِ ، تَزَيَّا « إِدْجَارُ » بِزَيِّ الْفُقَرَاءِ ، وَتَظَاهَرَ بِالْبَلَدِ
وَالْبُحُونِ ، وَغَيْرٍ مِنْ هَيْئَتِهِ ، وَأَطْلَقَ عَلَى نَفْسِهِ اسْمَ : « تَوْمِ
الْمَسْكِينِ » ، الَّذِي قَالَ عَنْهُ « الْبُهْلُولُ » : « إِنَّهُ شَيْطَانُ النَّايَةِ » . كما
ذَكَرْنَاهُ لَكَ ، فِيمَا قَصَصْنَاهُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَصْلِ السَّابِقِ .

٤ - مُسْتَشَارُ الْمَمْلَكَةِ

كانَ « إِدْمُنْدُ » شَدِيدَ الطَّمُوحِ (عَظِيمَ الرَّغْبَةِ فِي الْمُلُوكِ) ،
وَكَانَ يَجْمَعُ - إِلَى دَهَائِهِ (مَكْرِهِ) وَذَكَائِهِ - مِنْ خُبْنِ الطَّيْعِ
وَلَوْثِ الْفَسِ : مَا لَا يَخْطُرُ لِإِنْسَانٍ عَلَى بَالٍ . وقد ابْتَهَجَ لِنَجَاحِهِ فِي
مُؤَامَرَتِهِ الْخَاسِيَةِ اتِّقَى دَبْرَهَا لِإِصْهَاءِ أَخِيهِ ، وَأَغْرَاهُ (زَيَّنَ لَهُ)
ذَلِكَ الْقَوْرُ بِمُضَاعَفَةِ هِمَّتِهِ ، لِتَحْقِيقِ غَايَتِهِ الْبَعِيدَةِ ؛ وَهِيَ ارْتِقَاءُ
الْعَرْشِ وَالظَّفَرُ (الْقَوْرُ) بِالْمَلِكِ . وقد اسْتَوْلَتْ هَذِهِ النَّايَةُ عَلَيْهِ

وَمَلَكَتْ تَكْوِيرَهُ ، وَامْتَزَجَتْ بِدَمِهِ ، وَهَيْسَتْ (تَفَلَّيَتْ) عَلَى قَبِهِ : فَأَصْبَحَ لَا يُبَالِي أَقْرَافَ الشَّعْرِ وَالْأَنَامِ (الزَّيْكَابِ أَقْبَاحِ وَالْجَرَائِمِ) ، فِي سَبِيلِ بُلُوغِ أَمْنِيَّتِهِ .

وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ أَصْبَحَ مُسْتَشَارَ الْمَمْلَكَةِ كُلِّهَا ، وَمَوْضِعَ رَحَةِ الْأَخْيَيْنِ جِيئًا . وَتَمَّ بَدَأُ يُوغِرُ صَدْرَ « جُرَيْلِ » وَ« رِيحَانِ » عَلَى أَيْهَمَا . وَمَا زَالَ يَرْسُمُ لِهَما الخُطَّةَ لِلْخَلاصِ مِنْهُ ، وَيُزَيِّنُ لِهَما ذَلِكَ ، حَتَّى أَقْصَتْهُمَا عَنْهَا ، وَخَلَا الْبَحْرُ لِذَلِكَ الْمُسْتَشَارِ الْمَاكِرِ الْخَيْثِ .

٥ - الْجَاوِسُ

وَلَمْ يَفْ لَوْمْ طَوِيَّتَهُ (حُبْتُ رَيْتَهُ) عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ ؛ فَرَّاحَ يَقُولُ إِلَى بَنِي « لَيْرِ » أَخْبَارَ الْأَمِيرِ « جُلُسْتَرِ » ، الَّذِي تَبَنَاهُ وَنَهَّدَهُ مِنْذُ نَشَأَتِهِ ، وَرَبَاهُ فِي حَدَاتِهِ . وَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِ الْأَمِيرِ أَنْ « إِدْمُنْدَ » - أَقْرَبَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، وَالصَّغْمُ بِهِ - يَتَجَسَّسُ أَخْبَارَهُ ، وَيُخْصِي (يَمْدُ) عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ ، لِيَلْفَهَا أَعْدَاءُهُ .

وَقَدْ عَرَفَ « إِدْمُنْدُ » - مِنْ مُحَادَثَةِ الْأَمِيرِ - أَنَّهُ يَمْتَرِزُ التَّوَدُّعَ

إِلَى الْمَلِكِ « لَيْرِ » ؛ لِيُبَصِّرَ رَفِيقَهُ « كَنْتَ » بِمَا يَتَهَدَّدُ مَلِيكُهُ مِنْ أخطارِهِ ، وَيُوصِيَهُ بِالذَّهَابِ إِلَى « دُوفَرِ » ، حَيْثُ تُقِيمُ « كَرْدِلِيَا » : صُغْرَى بَنَاتِ « لَيْرِ » ؛ لِيَفْضِيَ إِلَيْهَا (لِيُخْبِرَهَا) بِمَا لَقِيَهُ أَبُوهَا ، وَيَمَا لَا يَزَالُ يَلْقَاهُ ، مِنْ أَحْدَاثِ وَخُطُوبِ .

٦ - نَصِيحَةُ الْأَمِيرِ

وَلَمَّا خَرَجَ الْأَمِيرُ « جُلُسْتَرُ » مِنْ قَصْرِهِ ، هَانِدًا إِلَى « الدَّسْكَرَةِ » (الْقَرْيَةِ) الَّتِي أَوْدَعَ فِيهَا « لَيْرَ » وَأَصْحَابَهُ ، أَفْضَى إِلَيْهِمْ بِمَا يُسَاوِرُهُ مِنْ قَلَقٍ عَلَى حَيَاةِ الْمَلِكِ . وَالْحَقُّ عَلَى الشَّيْخِ « لَيْرِ » فِي أَنْ يُسَافِرَ إِلَى « دُوفَرِ » ؛ حَيْثُ يَلْقَى - مِنْ رِعَايَةِ بَنِيهِ الْبَارَةِ « كَرْدِلِيَا » وَعِنَايَتِهَا - مَا هُوَ خَلِيقُ (جَدِيرٌ) بِهِ ، وَزَوْدُهُ بِمَا يَخْتَاجُ إِلَيْهِ مِنَ الْمَالِ . وَقَدْ أَدْرَكَ الْوَزِيرُ « كَنْتُ » مَا يَتَهَدَّدُ « لَيْرِ » مِنَ الْأخطارِ ؛ فَاسْرَعَ إِلَى تَنْفِيذِ مَا أَوْصَاهُ بِهِ الْأَمِيرُ « جُلُسْتَرُ » قَبْلَ قَوَاتِ الْفُرْصَةِ .

٧ - نَكْبَةُ الْأَمِيرِ

وما عادَ الْأَمِيرُ «جُلُسْتَر» إِلَى قَصْرِه، حَتَّى قَبِضَتْ عَلَيْهِ «رِيحَانُ» وَزَوْجُهَا وَ«جُرَيْلُ» أُخْتُهَا، بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا مِنْ «إِدْمُنْدَ» الْغَيْثِ، كُلَّ مَا أَسْدَاهُ (قَدَمَهُ) الْأَمِيرُ إِلَى الْمَلِكِ «لِير» مِنْ صَنِيعِ مَشْكُورٍ.

وَاشْتَدَّ غَضَبُهُمْ عَلَى الْأَمِيرِ الْكَرِيمِ؛ فَأَوْقَعُوا كِتَافَهُ، وَصَفَدُوهُ (وَضَعُوهُ فِي الْقَيْدِ وَالْأَغْلَالِ). وَتَمَادَوْا فِي الْإِسَاءَةِ وَالتَّكْلِيفِ بِهِ (تَعْذِيبِهِ) وَشَتَمِهِ، ثُمَّ تَنَفَّوْا شِمَرَاتٍ مِنْ لِحْيَتِهِ. فَلَمَّا غَضِبَ وَثَارَ لِكِرَامَتِهِ، وَذَكَرَهُمْ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ مِنَ الرِّعَايَةِ، زَادَتْ رِشْمَتُهُمْ عَلَيْهِ. فَقَدَّمَ إِلَيْهِ زَوْجُ «رِيحَانِ»، وَأَخْرَجَ عَيْنَهُ: وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى؛ فَصَرَخَ الْأَمِيرُ مُخَوَّنًا (مُسْتَفِئًا)، بَعْدَ أَنْ عَمِيَتْ عَيْنَاهُ. فَتَحَسَّسَ لِنُصْرِهِ أَحَدُ خِدَمِهِ، وَطَمَنَ الْجَانِي الْأَيْمَ طَمَئَةً قَاتِلَةً، اِتِّصَارًا لِمَوْلَاهُ، وَانْتِقَامًا لَهُ مِنْ أَعْمَاهُ. وَقَدْ لَقِيَ حَتْفَهُ (مَاتَ) ذَلِكَ الْعَادِمُ الشَّهْمُ فِي سَبِيلِ الْوَاجِبِ النَّبِيلِ.

أَمَّا الْأَمِيرُ «جُلُسْتَر»، قَدْ أَلْقَوْا بِهِ خَارِجَ الْقَصْرِ، دُونَ أَنْ تَذَرِكَهُمْ شَفَقَةٌ بِهِ، وَلَا رَحْمَةٌ عَلَيْهِ.

٨ - الزَّارِعُ وَالْأَمِيرُ

وَيَمْنِي الْأَمِيرُ خُطُوبَاتٍ قَلِيلَةً عَلَى غَيْرِ هُدًى، فَيَلْقَاهُ شَيْخٌ فِي الثَّمَانِينَ مِنْ عُمُرِهِ؛ فَيَسْأَلُهُ الشَّيْخُ مَخْزُونًا عَمَّا حَلَّ بِهِ مِنَ الْأَحْدَاثِ. فَيَرْجُوهُ الْأَمِيرُ أَنْ يَبْتَدِعَ عَنْهُ حَتَّى لَا يُصِيبَهُ مِنْ أَجْلِهِ سُوءٌ، فَيَقُولُ لَهُ الشَّيْخُ:

«أَحْسِبْ بِكُلِّ مَا آتَاهُ مِنْ آذَى وَضُرٍّ فِي سَبِيلِكَ؛ قَدْ نَشَأْتُ فِي نِعْمَتِكَ، وَعِشْتُ مِنْ غَلَّةِ الْأَرْضِ الَّتِي اسْتَأْجَرْتُهَا مِنْكَ وَمِنْ أَيْدِكَ. وَلَنْ أَتْرُكَكَ وَحِيدًا، بَعْدَ أَنْ قَدَدْتُ نُورَ عَيْنِكَ، وَعَجَزْتُ عَنْ تَعْرِيفِ الطَّرِيقِ.»

قَالَ لَهُ «جُلُسْتَر»: «لَقَدْ تَشَرَّتُ فِي طَرَفِي حِينَ كُنْتُ أَبْصُرُ، وَأَخْطَأْتُ فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا رَأَيْتُ، وَلَمْ تَنْصِبْنِي (لَمْ تَخَفِظْنِي) عَيْنَايَ مِنَ الْخَطَا. فَلَمَّا أَعُودُ إِلَى الصُّوَابِ وَأَنَا أَعْمَى، فَلَا أَتَسَرَّعُ فِي الْحُكْمِ عَلَى مَا يُحِيطُ بِي مِنَ الْأَشْيَاءِ.»

قَالَ لَهُ الزَّارِعُ : « سَاحِضٌ لَهُ خَيْرٌ مَا عِنْدِي مِنَ الثَّيَابِ . »

٩ - الأميرُ والمجنونُ

١٠ - حوارُ الأميرِ وولده

وسارَ الأميرُ معَ ولده « إدجار » ، الذي كانَ لا يزالُ يتظاهرُ أمامَ أبيه بأنه مجنونٌ ، حتى لا يَفْطِنَ إلى حَقِيقَتِهِ .

وسأله الأميرُ : « أَتَعْرِفُ الطريقَ - يا فَنَى - إلى « دوفر » ؟ »
قالَ له : « أعرفُ كُلَّ خَافِيَةٍ مِنْ خَوَافِيهَا ، ولا أَجْهَلُ شَيْئًا مِنْ

مَعَالِمِهَا وَمَجَاهِلِهَا . »

قالَ له : « يَرْبُكَ : سِرْ مَعِيَ حَتَّى تَبْلُغَ بِي الصَّخْرَةَ أَلْبَابَةَ الَّتِي تُسَمَّى (تِطْلُ) عَلَى الْبَحْرِ مِنْ قِمَّةِ الْجَبَلِ ؛ لِأَتَقِيَ بِنَفْسِي مِنْ ذَلِكَ الثَّلَوِ الشَّامِقِ ؛ فَأَخْلَصَ مِمَّا أَكَادَهُ مِنَ الْأَلَامِ الْمُبْرِحَةِ (الْمُوجَةِ) .

وَحُذِّ هَذَا الْكَيْسَ بِمَا فِيهِ مِنْ مَالٍ ، مُكَافَأَةً لَكَ عَلَى ذَلِكَ . »
فَتَظَاهَرَ وَلَدُهُ بِطَاعَتِهِ ، وَمَا زَالَ يَمْشِي مَعَهُ حَتَّى بَلَغَ بِهِ صَخْرَةً قَلِيلَةً الْإِرْتِفَاعِ فِي سَفْحِ الْجَبَلِ . قَالَ لَهُ : « مَا أَبْعَدَ هُنَا الصِّمَّةَ الشَّامِقَةَ عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ ! إِنِّي لَأَرَى أَحَدَ الصَّيَّادِينَ وَهُوَ

وَلَقِيَهُمَا فِي طَرِيقِهِمَا « تَوْمَ الْمَسْكِينِ » ، وَهُوَ يَتَظَاهَرُ بِالْجُنُونِ كَمَا دَتِهِ . وَلَمَّا كَانَ الْآنَ قَدْ عَرَفْتُهُ ، بَدَأَ أَنْ أَسْأَلْتُكَ الْقَوْلَ : إِنَّهُ « إدجارُ » وَلَدُ الْأَمِيرِ ، الَّذِي وَشَى بِهِ أَخُوهُ « إِدْمُنْد » .

وَرَأَى الْوَلَدَ الْبَرَّ الْوَفِيَّ مَا أَصَابَ وَالِدَهُ مِنَ الشَّكَايَةِ ؛ فَضَاضَ قَلْبُهُ نَوَاعَةً (حُرْفَةً) وَحُزْنًا . وَلَكِنَّهُ آثَرَ (فَضَّلَ) التَّجَلُّدَ وَالصَّبْرَ ؛ حَتَّى لَا يَفْطِنَ أَبُوهُ إِلَى حَقِيقَةِ أَمْرِهِ فَتَنْكَشِفَ حِيلَتُهُ .

وَقَدْ أَلَحَّ الْأَمِيرُ عَلَى الشَّيْخِ الزَّارِعِ أَنْ يُسَلِّمَهُ إِلَى ذَلِكَ الْمَسْكِينِ .
قَالَ لَهُ الشَّيْخُ : « وَكَيْفَ أَسْلِمُكَ إِلَى مَجْنُونٍ ؟ »

فَأَجَابَهُ الْأَمِيرُ : « لَقَدْ أَصْبَحَ مِنْ كُنَّا نَحْسِبُهُمْ عُقْلَاءَ ، خَادِعِينَ مُضَلَّلِينَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الشُّدِّ . وَلَقِيَ أَحَدٌ فِي هَذِي (فِي رَأْيِ) مِنْ نَحْسِبُهُمْ مَجَانِينَ : خَيْرًا مِمَّا وَجَدْتُهُ فِي هَذِي أَوْلَيْكَ الْمُتَظَاهِرِينَ بِالتَّعَطُّلِ وَالْحِكْمَةِ . فَإِذَا شِئْتَ أَنْ تُنْدِيَ إِلَيَّ جَمِيلًا (تَصْنَعُ مَعِيَ مَعْرُوفًا) ، فَأَخْضِرْ ثِيَابًا لِنَكُودَ بِهَا ذَلِكَ الْعَارِي الْمَسْكِينِ . »

واقفٌ على الشاطئ؛ فيَحِيلُ إِلَى - مِنْ قَرَطِ الثُلُو - أَنَّهُ قَارَةٌ
صَغِيرَةٌ، وَأَرَى التَّرَاكِبَ الْكَثِيرَةَ؛ فَلَا أَكَادُ أَنْتَبِئَ رَسْمَهَا، لَهْرَطِ



سَالَتْهَا (شِدَّةٌ صَبْرُهَا)، وَحَقَارَةُ أَحْجَابِهَا! هَلُمَّ - يَا سَيِّدِي - فَاصْزُرْ
كَأَنْتُرِيدُ! »

وَلَقَدْ حُيِّلَ إِلَى الْأَمِيرِ أَنَّ مُحَدَّثَهُ صَادِقٌ فِيمَا يَقُولُ؛ فَهَزَمَ مِنَ
الصَّخْرَةِ إِلَى سَفْحِ الْجَبَلِ، دُونَ أَنْ يُصِيبَهُ سُوءٌ.

وَأَقْبَلَ وَلَهُ «إِدْجَارُ»، وَقَدْ غَيَّرَ مِنْ صَوْتِهِ، مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ شَخْصٌ
آخَرُ؛ فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ هَوَيْتَ يَا عَمَّ - مِنْ ذَلِكَ الِارْتِقَاعِ
الشَّاهِقِ، دُونَ أَنْ يَدُقَّ عُنُقُكَ (تَكْسِيرَ رَقَبَتِكَ)، وَتُسْحَقَ عِظَامُكَ؟»
فَجَبَّ الْأَمِيرُ مِمَّا سَمِعَ، وَقَالَ لَهُ: «مِنْ أَيْ أَرْتِقَاعٍ هَوَيْتُ
(سَقَطْتُ)؟» فَأَجَابَهُ «إِدْجَارُ» مُتَظَاهِرًا بِالْأَهْشَةِ وَالْمَجَبِّ:

«أَلَا تَعْرِفُ مَدَى الْهَوَاةِ السَّحِقَةِ (مَقْدَارِ الْخُفْرَةِ الْعَمِيقَةِ) الَّتِي
تَرَدَّتْ (سَقَطَتْ) فِيهَا؟ لَقَدْ رَأَيْتُكَ - مُنْذُ لَحْظَةٍ يَسِيرَةً - وَأَنْتَ
فِي غَالِيَةِ هَذَا الْجَبَلِ الشَّاهِقِ، وَمَعَكَ مَخْلُوقٌ عَجِيبٌ، تَبَدُّو عَيْنَاهُ
كَأَنَّهُمَا - لَشِدَّةِ اتِّسَاعِهِمَا - قَمَرَانِ مُسْتَدِيرَانِ، وَقَدْ حِيلَ إِلَى أَنْ
لَهُ أَلْفُ وَجْهِ. وَمَا أَشْكُ فِي أَنَّهُ شَيْطَانٌ مَرِيدٌ (خَائِثٌ). فَلْتَهْنَأْ
بِنَجَاتِكَ مِنْهُ، وَلْتَفْرَحْ بِمَا ظَلَمْتَ بِهِ مِنَ السَّلَامَةِ؛ فَمَا أَشْكُ فِي أَنْ
الْعَايَةِ الْإِلَهِيَّةَ تَصْحَبُكَ وَتَحْرُسُكَ.»

١١ - فِي الْحُقُولِ

وَأَتَتْهُمَا لَيْسِيرَانِ فِي الْحُقُولِ، إِذْ لَقِيَهُمَا الْمَلِكُ «لَبْرُ»، وَقَدْ عَقَدَ

عَلَى رَأْسِهِ تَابًا مِنَ الْأَزْهَارِ الْبَرْيَةِ . فَلَمَّا حَيَّاهُ • إِذْ جَارُ • ، أَنشَأَ • لِيرَ •
يَهْدِي وَيُجْمِعُ أَفْظَا لَا مَعْنَى لَهَا . فَمَرَقَهُ الْأَمِيرُ «جُلَيْسَر» - حِينَ سَمِعَ
صَوْتَهُ - وَسَأَلَهُ قَاتِلًا : « تَرَى مَنْ أَرَى ؟ أَلَسْتُ أَلَمَّاكَ • لِيرَ • ؟ »



فَأَجَابَهُ : « لَنْ كُلَّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِي (كُلَّ عَضْوٍ مِنْ أَعْضَائِي) ،
وَكُلَّ شَعْرَةٍ مِنْ شَعَرَاتِ جَنْسِي ، لَتَنْطَلِقُ صَارِحَةً مُحَدَّثَةً : أَنَّنِي



الملك « لير » . أما أنت ، فما أظنك إلا بنتي « جُرَيْل » ، برغم هذه
اللحمة البيضاء .
ثم استولى الحال والهديان عليه مرة أخرى . فحزن الأمير لما
حدث ، وهان عليه ما حلَّ به من أحداث وخطوب ، بعد أن رأى
ما بلغه الملك « لير » من سوء المآل (المآبة) .

١٢ - عودة المخلص

هذات المواصف الثائرة ، وسكنت الرعود المدوية ، وحشمت
(زالت) السحب المتلبد ، وظهرت السماء سافية بعد أن حجبتها
الغيوم . وعادت البنت الوفيّة « كُرْدِلَا » في جيشها العظيم ، لتنفذ
أبأها مما يمانيه من الأهوال والكوارث . وكانت قد عِلست من
الوزير المخلص : « كنت » ، ما عاناه الشيخ « لير » من الخطوب
والمحن . فأخبرت زوجها : ملك « غرنا » تلك القصة المفزعة ؛
 فلم يتردد في إعداد جيش كبير ، لتأديب أختها الفادرتين ، والتشكيل
بهما (جعلهما نكالا وعبرة) ؛ جزاء ما أسلفته إلى أبيهما « لير » ،
من إساءة وجحود .

وما كان لسرع « كُرْدِلَا » : صغرى البنات ، وأوقاهن عهدًا ،
وأكرمهن هبة ، إلى تجنّب أبيها . فقد فادرت « دوفر » - من
فورها - وما زالت تجذّ في سترها ، حتى وصلت إلى أبيها ، وهي
أشوق ما تكون إلى لقاءه ، ولتم يديّه (تحسبهما) ، والإعتذار
له مما كابدّه (قاساه) من حقوق بنتيه ، وما لقيّه على أيديهما من
إذلال وهوان .

١٣ - نصيحة الطبيب

وما وصلت إليه ، حتى وجدته مستغرقًا في سبات (نوم)
عميق . قال لها الطبيب : « أتأمرين - يا مولائي - أن أتبه ؟ »
قالت له : « ليس لي أن آمر بما ليس لي به علم . فافعل ما يوحيه
إليك طبك ، وتقدّ ما تشير به عليك خيرك وتجار بك » .
قال الطبيب : « أرى أن نوظفه على عزف الموسيقى ، بعد أن
نكسوه حلة جديدة (ثوبًا لم يلبس) . ومتى استيقظ على الألحان
الشجيّة (المطربة) ، كنت أول من يراه ؛ فلا يلبث أن يسود إليه

رُشْدُهُ الَّذِي أَوْشَكَ أَنْ يُخَارِقَهُ . وَإِنَّ فِي مُحَادَثَةِ جَلَالِكَ إِيَّاهُ ، لَقَوْلَهُ
أَنْجَعَ (أَشْفَى) لَهُ مِنْ كُلِّ دَوَاءٍ .

١٤ - مُنَاجَاةُ « كُرْدِلِيَا »

قَالَتْ « كُرْدِلِيَا » : « اصْنَعْ - لِشِفَائِهِ - مَا تَشَاءُ ، وَابْذُلْ
فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مَا تَسْتَطِيعُ ، بِإِلَافَةٍ .
وَلَمَّا عَزَفَتِ الْمَوْسِيقَى ، دَبَّتِ الْبَقِيعَةُ فِي نَفْسِ الْمَلِكِ عَيْنًا فَشَيْئًا ،
حَتَّى أَفَاقَ مِمَّا غَشِيَهُ (مِمَّا أَصَابَهُ) ، وَاسْتَيْقَظَ مِنْ سُبَاتِهِ الْمُسَبِّحِ .
وَكَانَتْ « كُرْدِلِيَا » شَدِيدَةَ الْقُوَّةِ لِمَا أَصَابَ وَالِدَهَا الْكَرِيمَ
مِنْ هَوْلِ تِلْكَ الْمَاصِيفَةِ الْهَوَّاجَةِ الَّتِي أَصْغَفَتْ جِسْمَهُ ، وَأَزْهَقَتْ
(أَنْتَبَتْ) أَعْصَابَهُ ؛ فَوَقَّتْ تَمَاطُلَ وَجْهِهِ الْحَزِينَ ، وَتَوَاجَّحِهِ
مُتَلَاعَةً (مُتَالَةً) ، وَهِيَ تَقُولُ :

« أَهْكَذَا تَجْزِيكَ بِالْتَّفُوقِ وَالتَّذَرُّبِ بِنَتَاكِ ، جَزَاءَ مَا أَسْلَفْتَ
إِلَيْهِمَا بِالْخَيْرِ يَدَاكِ ؟ أَهْكَذَا تَبْلُغُ قَنُوءَ الْهَلَبِ مِنْهُمَا أَنْ تُسْلِمَاكَ
إِلَى الرَّبِّعِ الْعَالِيَةِ ، وَالرُّعُودِ الْمُدُوءَةِ ؟ »

ثُمَّ أَنْعَمَتِ النَّظَرَ فِي وَجْهِ الشَّيْخِ ، وَقَدَرِ اشْتَدَّتْ لَوْعَتُهَا وَحَزْنُهَا ،
قَالَتْ : « كَيْفَ رَضِينَا لِهَذَا الْوَجْهِ أَنْ يَتَعَرَّضَ لِأَهْوَالِ الْفَوَاصِفِ
الْهَوَّاجِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ غِطَاءٍ يَمِيعٍ غَائِلَةٌ الْبَرْدِ (شِدَّتُهُ) عِزُّ تِلْكَ
الشَّعْرَاتِ الْمُبِيعَةِ الرَّقِيقَةِ ؟ شَدَّ مَا كَابَدَتْ - يَا أَبَتِ - مِنْ الْهَوُولِ
وَالضَّرَرِ (الْمَرَضِ) . وَحَدَّ مَا أَسَأْنَا ، أَيُّهَا الشَّقِيقَانِ !

أَمَا لَوْ أَنَّ لِي عَدُوًّا لِدَوْدَا أَعْرَى يَابِذَانِ كَلْبًا ضَارِبًا حُودًا ، فَخَضَنِي
دُونَ أَنْ أَسْلِفَ إِلَيْهِ إِسَاءَةً ، ثُمَّ لَقِيتُ الْكَلْبَ الشَّرَّسَ فِي تِلْكَ
الْقِلَّةِ الْبِلَاءِ (الشَّدِيدَةِ الظُّلْمَةِ) ، وَقَدْ نَبَذَ بِالرَّمَاهِ (الْأَرْضِ الْخَالِيَةِ) ؛
لَا كَوْنَتُهُ فِي بَيْنِي وَأَدْعَانِهِ ، مُنَاسِبَةً كُلَّ مَا أَسْلَفْتُ إِلَى مِنْ
أُذِيَةِ وَالِدَاهِ .

فَكَيْفَ يَمُنُّ وَهَبَ لَكُمْ مُلْكُهُ الْعَظِيمَ ، وَتَقَنَّ فِي يَدِكُمَا ،
وَلَمْ يَدْخَرْ أَيْ وَسِيلَةً فِي سَبِيلِ إِسْعَادِكُمَا ! أَهْكَذَا تَجْزِيَانِي ؟
أَيُّ أَهْلَاكُمَا الْمَذْبُوحَةِ الْخَادِعَةِ ، الَّتِي كُنْتُمَا تَمْلِكَانِي بِهَا يَوْمَ
دَعَاكُمَا لِإِحْسَانِ مُلْكِهِ ؟

قَدْ تَمَلَّكْتُ (تَحَلَّلْتُ) مِنْ فُتُونِ عَدْرِكُمَا صُورًا وَأَلْوَانًا لَا تُحْصَى ،

قالت: «كردليا»: «هل عرفتني، يا مولاي؟»

فأجابها: «أنت - بلا شك - أكرم روح ملائكي رأيته في حياتي. فخبّري برّيك - أيها الروح الطاهر - في أي وقتٍ حلت بك الوفاة؟»

١٦ - حوارُهُ مَعَ «كردليا»

فلم تيسّر «كردليا» من شفافته، وأقبلت عليه نوّسه، وتلاطفه، وتطلب إليه أن يهدي من سورق نفسه المحزونة. قال مدعوشاً:

«حسبك أيها الروح الملائكي، حسبك (كفاك)! فما أدرى - مما يحيط بي من هذه الأشياء - شيئاً، وما أعرف أيّ ثوب هذا الذي أرتديه؟ ولا أدرى من الذي ألبسني؟ ولو سألتُموني - في هذه اللحظة - في أيّ مكان أنا؟ لما عرفت ليوايكم جواباً. صدق - أيها الروح الكريم - أنني لا أعرف كيف قضيت يوم أمس؟ ولا أدرى أنايم أنا، أم يظنان؟ ثم لا أدرى أحى أنا،

ولكن ما تكشف لي من ضروب القسوة وفنون الطمع - منكما - قد فاق جميع ما تمثّلته، وأزبني (زاد) على كل ما ذهب إليه خيالي، من أفانين القوق والإساءة (أصنافهما) ..»

١٥ - يَقْطَعُ الشَّيْخُ

وأفاق الشيخ «لير» من سباته العميق، فأقبلت عليه بنته الوفيّة «كردليا» تحييه قائلة:

«كيف أصبحت، يا صاحب الجلالة؟»

فبدت الدهشة على وجهه، ولم يعرف: أي حلم هو أم في يقظة، ثم قال متحيراً:

«لماذا بستموني من الصوت؟ ولماذا أخرجتموني من ظلمتي القبر، بعد أن أراخي الموت من كوارث الزمن ومصائب الحيا؟» ثم نظر إلى «كردليا» مذهولاً، وقال: «وأنت أيها الروح الملائكي الحنون، خبّري: من أيّ مكان من غلبا السماوات نزلت؟ وكيف حلت هذا الوادي؟ ولأي غاية جئت؟»

أَمْ مَيِّتٌ؟ وَلَوْ طَاوَعْتُ نَفْسِي، وَانْقَضَتْ بِمَا أَضْمِرُهُ، لَعَجِبْتُمُونِي
مَخْبُولًا أَوْ مَخْرُوعًا! إِنِّي لَأَتَمَثَّلُ فِي هَذَا الرُّوحِ الْمَلَانِكِيِّ صُورَةً
يَنْبَغِي الْوَقْفَةَ «كَرْدِلِيَا». فَلَا يَنْخَرَنَنَّ مِنْ هَذَا الْوَهْمِ أَحَدٌ؛ فَإِنِّي
أَعْتَقِدُ أَنَّنِي لَا أَزَالُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، كَمَا أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الرُّوحَ الْمَالِي
أَمَامِي هُوَ «كَرْدِلِيَا» بَنِي.

فَقَالَتْ «كَرْدِلِيَا» بَاكِئَةً:

«مَا أَصَدَّقَ فِرَاسَتَكَ (إِسَابَةَ ظَنِّكَ)، وَأَصَحَّ رَأْيِكَ، أَيُّهَا
الْوَالِدُ الْكَرِيمُ!»

فَقَالَ لَهَا مُتَأَلِّمًا: «لِمَاذَا تَبْكِينَ، أَيُّهَا الْبَارَّةُ الْمُحْسِنَةُ؟ أَأَنْتِ
تَخْزَنِينَ لِمَا أَصَابَنِي، بَدَأَ أَنْ أَسْلَفْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْإِسَاءَةِ مَا أَسْلَفْتُ؟
أَكْذَلِكَ تَجْزِينِي إِحْسَانًا بِإِسَاءَةٍ، عَلَى حِينٍ قَدْ جَزَيْتَنِي أَخْثَاكُ
إِسَاءَةً بِإِحْسَانٍ؟ أَمَّا لَوْ أَنَّكَ أَنْكَرْتَنِي - كَمَا أَنْكَرْتَنِي أَخْثَاكُ -
لَكُنْتِ فِي سَعَةِ مِنَ الْمَذَرِ». قَالَتْ لَهُ:

«يَرْبُّكَ لَا تَنْسِلِمَ لِأَخْزَانِكَ - يَا أَبَتِ - فَإِنَّ ذَلِكَ يَمْلَأُ
نَفْسِي هَمًّا وَلَوْعَةً. هَلَمْ يَا أَبَتِ، فَلْنِ نَرَى إِلَّا مَا يَسُرُّكَ.»

١٧ - اعْتِدَارُ النَّادِمِ

قَالَ لَهَا: «قَدْ أَسَأْتُ إِلَيْكَ أَبْلَغَ إِسَاءَةٍ، وَمَا أَجْدَرَنِي أَنْ أَطْلُبَ
إِلَيْكَ الْمَغْفَحَ وَالْفُرَانَ (السَّامِحَةَ وَالْمَغْفِرَةَ). فَتَجَاوَزِي (اصْفَحِي)
- أَيُّهَا الْكَرِيمَةُ - عَمَّا قَدَّمْتُ يَدَايَ.»

قَالَتْ لَهُ: «إِنِّي بِنْتُكَ الْمُؤْتَمِرَةُ بِأَمْرِكَ، الْمُسَبِّبَةُ لِإِثْرِكَ،
فَلَا يَحْزُنُكَ شَيْءٌ بَدَأَ الْيَوْمَ. أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ إِلَّا خَادِمَةً وَفِيَّةً لَكَ
مَدَى الْحَيَاةِ.»

وَتَمَّ أَدْرَكَ الْمَلِكُ «لِير» - نَيْشَا (بَعْدَ قَوَاتِ الْوَقْتِ) - بِمِقْدَارِ
وَقَاهِ يَفْتِيهِ «كَرْدِلِيَا»، وَعَرَفَ مَدَى خَطِيئِهِ حِينَ صَدَّقَ مَا كَانَتْ
تُرَوِّرُهُ بِنْتَاهُ، مِنْ كَاذِبِ الْقَفْظِ، وَخَائِلِ النَّهْءِ (خَادِعِ الْمَدْحِ).

٢ - الخبثاء الثلاثة

سَمَّيَ الْقَوْرَ لِلْخَبْثَاءِ الثَّلَاثَةِ ، أَعْنَى : « جُنْدِيل » وَ « رِبْجَان » وَ « كَرْدِلَا » ، وَ « كَرْدِلَا » هِيَ الْمَرْيَمَةُ ، وَ « رِبْجَان » هِيَ الْمَرْيَمَةُ ، وَ « جُنْدِيل » هِيَ الْمَرْيَمَةُ . وَ « كَرْدِلَا » هِيَ الْمَرْيَمَةُ . وَ « رِبْجَان » هِيَ الْمَرْيَمَةُ . وَ « جُنْدِيل » هِيَ الْمَرْيَمَةُ .

٣ - بَيْنَ « أَلْبَانِي » وَ « إِيْمَنْد » .

لَقَدْ حَبِطَ « إِيْمَنْد » سَعِينٌ تَمَّ لَهُ الْقَوْرُ فِي بَيْتِكَ الْمَرْكَرَةِ الْحَاسِيَةِ (الْقَاطِعَةِ) ، إِنَّهُ قَدْ أَدْرَكَ أَرْبَعَةَ (مَطْمَعَةٍ) ، وَظَفَرَ بِأَمْسِيَّتِهِ فِي أَرْقَاءِ عَرْشِ الْمَمْلُوكَةِ ، بَعْدَ أَنْ خَلَا الْجَوُّ مِنْ كُلِّ مُنَافِسٍ لَهُ فِي الْمَلِكَةِ ، وَلَمْ يَبْقَ أَمَامَهُ أَحَدٌ يَخْشَى بَأْسَهُ غَيْرَ الْأَمِيرِ « أَلْبَانِي » ، وَزَوْجُ « جُنْدِيل » .

وَكَانَ ذَلِكَ الْأَمِيرُ طَيِّبَ الْقَلْبِ ، فَلَمْ يَرْضَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا اقْتَرَفَهُ

الفصل الخامس

١ - هَزِيمَةُ « كَرْدِلَا »

مَا كَانَ لِيَدُورَ بِخَلْدِ الْمَلِكِ « لِير » - حِينَ أَصْنَى إِلَى تَمْلِيْقِ بَنِيهِ الْخَادِعَتَيْنِ ، وَعَنْ نَصِيحَةِ وَزِيرِهِ الْمَخْلُصِ « كَشْت » - أَنْ أَهْلَكَ الدَّهْرَ وَمَصَانِبَهُ سِتَجَمْعُ مَتَوَالِيَةٍ ، مَتَالِبَةٌ عَلَيْهِ لِلشَّكْلِ بِهَ مَسْرِفَةٍ فِي مَقَابِلَتِهِ عَلَى خَطِّهِ ؛ فَلَا تَلُوحُ بَارِقَةُ (نُورٍ) مِنْ الْأَمَلِ ، حَتَّى يَقْبَهَا لَيْلُ دَاجٍ (شَدِيدُ السَّوَادِ) ، مِنْ الْيَأْسِ السَّيِّئِ .

لَقَدْ بَقِيَ الْجَيْشَانِ ، وَكَانَ الْأَمَلُ مَقْعُودًا عَلَى نَصْرِهِ « كَرْدِلَا » ، وَهَزِيمَةُ جَيْشِ لُخْتِيهَا الْقَادِرَيْنِ ، وَانْدِحَارُهُ (انْكَسَارُهُ) ، وَلَكِنْ شَوْهُ حَظُّ الشَّيْخِ « لِير » قَدْ حَيَّبَ هَذَا الْأَمَلُ الْبَاسِمَ الشَّرِيقَ ؛ فَاهْرَمَ جَيْشُ « كَرْدِلَا » أَشْنَعَ هَزِيمَةً ، وَاتَّصَرَ عَلَيْهِ جَيْشُ « جُنْدِيل » وَ « رِبْجَان » ، وَانْتَهَتْ الْمَرْكَرَةُ بِأَسْرِ « كَرْدِلَا » وَأَيَّهَا ، وَإِدَاعِيهَا السَّجْنِ بَعْدَ أَنْ غَلِبَ جَيْشُهُمَا عَلَى أَمْرِهِ .

(أَرْتَكَبَهُ) الْخُبْنَاءُ الثَّلَاثَةُ مِنَ الْأَوْزَارِ وَالْآثَامِ (الدُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ).
وَأَمْرُ الْأَمِيرِ «أَلْبَانِي» عَلَى إِطْلَاقِ سَرَّاحٍ «كُرْدِيَا» وَأَيُّهَا مِنْ
إِسَارِهِمَا، كَمَا أَمَرَ «إِدْمُنْدُ» عَلَى حَبْسِهِمَا. وَدَارَتْ مُنَاقَشَةٌ عَنِيفَةٌ
بَيْنَهُمَا، وَاتَّصَرَّتِ الْأَخْتَانِ لِإِسْتِثَارِهِمَا الْخَبِيثِ. وَغَضِبَ الْأَمِيرُ
«أَلْبَانِي»؛ فَدَعَاهُ لِلْمُبَارَاةِ (الْمُضَارَبَةِ بِالسَّيْفِ).

٤ - يَبْنَ «إِدْمُنْدُ» وَ«إِدْجَارُ»

وَجَاءَ - فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ - «إِدْجَارُ» : ابْنُ الْأَمِيرِ «جُلُسْتَر» ؛
فَدَعَا أَخَاهُ «إِدْمُنْدُ» إِلَى زِيَارَتِهِ (مُبَارَاةٍ) قَاتِلًا :
«هَلُمُّ أَيُّهَا الْقَائِدُ الْعَظِيمُ، فَامْتَشِقُ حُكْمِكَ (اشْهَرُ سَيْفِكَ)،
وَاصْنُبْ آخِرَ صَفْحَةٍ فِي تَارِيخِ حَيَاتِكَ الْمَمْلُوءَةِ بِالشُّرُورِ وَالْأَرْجَاسِ
(الْغَطَايَا) وَالذَّنَابِ. هَلُمُّ فَانْتَقِمْ لِشَرِّكَ مِنْ يَرْمِيكَ بِكُلِّ مُخْرِجَةٍ،
وَيَتَّهِمُكَ بِكُلِّ تَقْبِيصَةٍ. هَلُمُّ إِلَيَّ : فَرَوْ (اشقِ) رُمُوتَكَ مِنْ دَمِي
إِنْ اسْتَطَعْتَ، لَكَمْكَ تَفْصِيلُ مَا لَحِقَكَ مِنَ الْإِهَانَةِ الَّتِي لَوُثْتُ بِهَا
شَرِّكَ الرَّقِيعِ. فَإِنْ عَجِزْتَ عَنْ ذَلِكَ، فَلَنْ يُعْجِزَنِي قَتْلُكَ !»

صَلَّاحٍ فِيهِ «إِدْمُنْدُ» : «إِنَّمَا جَاءَ بِكَ إِلَيَّ حَيْنُكَ (اقْضَاءُ
أُجَلِّكَ). وَلَنْ جَهَلْتُ مَنْ أَنْتَ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ رَجُلٌ سَاقَتُهُ
حِمَاكُهُ إِلَى الرَّدَى، وَأَسْلَمَتْهُ أَجَلُهُ إِلَى الْهَلَاكِ. وَإِنْ سَنِي هَذَا
لِكَيْفَلٍ بِتَأْدِيبِ أَثْنَاكَ، وَالتَّنْكِيلِ بِكَ، وَجَعَلِكَ عِزَّةً لِكُلِّ
مَنْ يَعْتَبِرُ.»

وَمَا أَتَمَّ وَعِيدُهُ حَتَّى بَدَأَ هُجُومَهُ عَلَى مُنَازِلِهِ (خَصْمِهِ)،
وَدَارَتْ رَحَى الْقِتَالِ بَيْنَهُمَا، وَأَشْدَّ صِرَاعُهُمَا، وَشُرَّانَ مَا عَاجَلَهُ
«إِدْجَارُ» بِطَعْنَةٍ قَاتِلَةٍ؛ فَهَوَى «إِدْمُنْدُ» إِلَى الْأَرْضِ مُجَدِّلاً
(صَرِيحًا)، يَتَعَثَّرُ (يَتَخَبَّطُ) فِي دَمِهِ. وَأَسْتَوَى الدَّهْشُ عَلَى الْحَاضِرِينَ،
وَعَمَدَ الذُّهُولُ أَلْسِنَتَهُمْ؛ فَلَمْ يَدْرُوا مَا يَفْعَلُونَ.

٥ - مَصَارِعُ الْخُبْنَاءِ الثَّلَاثَةِ

وَلَمَّا سَقَطَ «إِدْمُنْدُ»، صَاحَتْ «رِيْجَانُ» مُفْرَعَةً، تَتَلَوَّى
مِنْ فَرْطِ الْأَلَمِ، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهَا؛ فَوَقَّتْ - مِنْ نَوْرِهَا -
جُتَّةً هَامِدَةً.

أَتَدْرِي - أَيُّهَا الْقَارِئُ الْعَزِيزُ - بَأَى شَيْءٍ قُتِلَتْ « رِيحَانُ » ؟
 بِالسَّيْفِ قُتِلَتْهَا « جُنْرِيْلُ » ؛ لَقَسْنَا بَرَّ بِالْمُلْكِ وَحَدَّهَا ! وَلَكِنَّ أَمَلَهَا
 قَدْ خَابَ ، حِينَ رَأَتْ قُوَّةَ « إِدْجَارَ » ، وَانْتِصَارَهُ عَلَى مُسْتَشَارِهَا
 « إِدْمُنْدُ » ، الَّذِي نَاطَتْ (عَلَقَتْ) بِهِ كُلَّ آمَالِهَا فِي التَّغَرُّدِ بِالْمُلْكِ ،
 وَالِاسْتِشَارِ بِالسُّلْطَانِ ؛ فَمَاجَلَتْ نَفْسَهَا بِطَعْنَةِ قَاتِلَةٍ ، أَوْدَتْ بِهَا
 (أَهْلَكَتْهَا) ، وَمَضَتْ بِرُوحِهَا إِلَى الْجَحِيمِ .

وَرَأَى « إِدْمُنْدُ » أَنْ كُلَّ مَا بَنَاهُ - بِالنَّذْرِ وَالْعُقُوقِ وَالْإِسَاءَةِ إِلَى
 أَقْرَبِ النَّاسِ وَأَبْرَرِهِمْ بِهِ - قَدْ انْهَارَ (سَقَطَ) أَمَامَهُ فِي لَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ ؛
 فَصَاحَ مُسْتَطَعِظًا قَاتِلَةً :

« حَبْرَنِي بَرِّكَ : مَنْ أَنْتَ ؟ لِأَعْرِفَ اسْمَ مَنْ كَتَبَ عَلَى يَدَيْهِ
 مَضْرَعِي ؟ »

فَاجَابَهُ « إِدْجَارُ » :

« أَنَا ابْنُ مَنْ كَانَتْ إِحْسَانُهُ إِلَيْكَ ، وَرِيَّهُ بِكَ ، وَرَبِّيْتُهُ
 إِلَيْكَ ، أَتَجِبُ مُكَافَأَةً . أَنَا ابْنُ الْأَمِيرِ « جِلْسُنَر » ، الَّذِي تَبَنَّاكَ ؛
 فَأَعْرِيتَ بِهِ أَعْدَاءَهُ ، وَمَكَّنْتَ لَهُمْ مِنَ التَّنْكِيلِ بِهِ ؛ حَتَّى حَرَمُوهُ

نُورَ عَيْنَيْهِ . وَقَدْ مَاتَ - مُنْذُ دَقَائِقَ - مِنْ هَوْلِ مَا رَأَى مِنْ
 الْمَصَائِبِ وَالْأَحْدَاثِ . »

٦ - تَوْبَةُ الْهَالِكِ

فَصَاحَ « إِدْمُنْدُ » مُتَنَجِّمًا :

« مَا أَصْدَقَ مَا فَاهَتْ بِهِ شَفَاكَ ! لَقَدْ حَقَّ عَلَى الشَّقَاءِ ، وَلَقِيتُ
 مَا أَنَا أَهْلٌ لَهُ مِنْ التَّنْكِيلِ وَالْجَزَاءِ ، وَحَاقَتْ عَلَى اللَّعْنَةِ إِلَى الْأَبَدِ .
 وَلَكِنِّي أُوَسِّلُ إِلَيْكَ ضَارِعًا أَنْ تُسْرِعَ بِبَجْدَةٍ « لَبِ » وَبَيْنَهُ
 « كُرْدِيَا » ؛ قَدْ أَمْدَرْتُ أَمْرِي بِقَتْلِهِمَا فِي سِجْنِهِمَا خُلْسَةً (خُفِيَّةً) ،
 قَبْلَ أَنْ أَشْتَبِكَ مَعَكَ فِي هَذِهِ الْمَمْرُكَةِ الْقَاضِيَةِ : لَعَلِّي أُكْفِرُ
 - بِإِتْقَادِهَا - عَنْ شَيْءٍ يَسِيرُ مِمَّا اقْتَرَفْتُ مِنَ الْخَطَايَا وَالْآثَامِ الْمُؤْرِقَةِ
 (الْمُهْلِكَةِ) ! هَلُمَّ فَأَقْذِهُمَا قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ بِهِمَا الْهَلَاكُ . »

ثُمَّ أَعْمَى عَلَيْهِ ، وَأَسْلَمَتْهُ جِرَاحُهُ إِلَى الرَّدَى (الْمَوْتِ) ؛ فَفَضَى
 مُشْتَبِعًا (مُودَعًا) بِاللَّعْنَاتِ ، كَمَا شَبِعَتْ « جُنْرِيْلُ » وَ « رِيحَانُ » .

٧ - مَصْرَعُ « كُرْدِلِيَا »

وَلَقَدْ بَدَلَ الْحَاضِرُونَ كُلَّ مَا فِي مَقْدُورِهِمْ ، فَأَسْرَعُوا لِإِقَاذِ
الْأَسِيرِينَ . وَلَكِنْ سُرِعَتْهُمْ لَمْ تُفْنِ شَيْئًا فِي إِقَاذِ « كُرْدِلِيَا »
الطَّاهِرَةِ الْقَلْبِ ، الرَّاكِيَةِ النَّفْسِ ؛ فَقَدْ نَقَذَ سَهْمُ الْقَضَاءِ - وَلَا مَرَدَّ
لَهُ - وَلَقِيتْ حَتْفَهَا (هَلَاكَهَا) مَصْلُوبَةً فِي السَّجْنِ ، قَبْلَ أَنْ
تُدْرِكَهَا أَيْدِي الرُّحَمَاءِ الْمُنْقِذِينَ

...

وَاسْتَوَلَى الدُّعْرُ وَالْجِبَالُ عَلَى الشَّيْخِ « إِير » ، حِينَ رَأَى مَا حَلَّ
بِابْنَتِهِ الْوَقْفَةِ ، الَّتِي لَقِيتْ حَتْفَهَا فِي سَبِيلِ نَصْرَتِهِ ؛ فَحَمَلَتْ جُثَّتَهَا بَيْنَ
ذِرَاعَيْهِ ، وَهُوَ يُصَيِّحُ مُوَدِّعًا ، نَادِبًا :

« إِلَيَّ ، أَيُّهَا الْبَاكُونَ ! إِلَيَّ ، أَيُّهَا الْمُعْوِلُونَ (الصَّائِحُونَ بِالنَّكَاةِ) !
إِلَيَّ ، أَيُّهَا الْجِبَارَةُ وَالصُّخُورُ الَّتِي سَمِيتَ أَنْاسِيَّ (بَنِي آدَمَ) ! إِلَيَّ ،
فَاغْرُجُوا بِدُمُوعِي دُمُوعَكُمْ ، وَصَيِّحُوا مَعِيَ كَمَا أُصَيِّحُ ، وَأَعُولُوا نَادِينَ
حَتَّى تَنْفَطِرَ (تَنْشَقَّ) السَّمَاءُ عَلَيْنَا حَرْنًا وَالْمَاءُ !



لَقَدْ مَاتَتْ ! أَلَا تُصَدِّقُونَ ؟

وَيْ ! هَلَكْتَ ! أَمْ كَذَّبِي أَنْتُمْ ؟

أَنَا لَا أَجْهَلُ الْفَرْقَ بَيْنَ الْمَيِّتِ وَالْحَيِّ ! إِنَّهَا لَا تَنْبِسُ بِنِسَةِ شَقِيٍّ (لَا تَلْفِظُ بِحَرْفٍ) ! لَقَدْ هَمَدْتُ ، فَمَا تُحِسُّ شَيْئًا ! هَاتُوا مِرَّةً فَأَدُونَهَا مِنْ فَمِهَا ؛ فَإِنْ طَلَبَتْ عَلَيْهَا مَقًا مِنْ أَقْبَاسِهَا ، فَلَا تَشْفُوا بِي !

أَه لَوْ بَقِيتُ سَالِمَةً إِلَى جَانِبِي ! إِذَنْ عَفَرْتُ كُلَّ مَا حَلَّ بِي مِنْ أَحْدَاثٍ وَخُطُوبٍ !

إِذَنْ أَتَسْتَنِي السَّاعِدَةَ - بِحَيَاتِهَا - كُلَّ مَا عَمَّرَنِي (مَا شَمِلَنِي) مِنْ أَسْوَاءٍ (مُصَابِيٍّ) وَأَخْرَانٍ !

٨ - لَوْعَةُ النَّاِكِلِ

وَحَاوَلْ خُلُصَاؤُهُ وَأَصْفِيَاؤُهُ (أَصْدِقَاؤُهُ الْمُخْلِصُونَ) : « كُنْتُ » و « إِدْجَار » و « أَلْبَانِي » جَمِيعًا أَنْ يَهْوُونَا عَلَيْهِ مِنْ مُصَابِيٍّ وَفَجِيعَتِهِ ؛ فَصَبَّحَ فِيهِمْ مُتَوَلًّا ، وَقَدْ تَمَلَّكَهُ الذُّهُولُ :

« لَقَدْ مَاتَتْ ، وَعَجَزْتُمْ عَنْ إِقَادِهَا جَمِيعًا ! فَمَا فَائِدَةُ الْحَيَاةِ بَعْدَهَا ؟ وَاحْشَرْنَا عَلَى شَبَابِهَا النَّاصِرَ ! مَا كَانَ أَعَذَبَ صَوْتَهَا الرَّثِيقَ ! وَمَا كَانَ أَطْيَبَ قَلْبِهَا الشَّفِيقَ ! أَرَأَيْتُمْ أَزْكَى (أَطْهَرَ) مِنْهَا نَفْسًا ، وَأَكْرَمَ خُلُقًا ؟ فَكَيْفَ امْتَدَّتْ إِلَى عُنُقِكَ يَدُ الْجَانِي الْأَثِيمِ ! فَأَقْدَمَ عَلَى صَلِّيكِ ، دُونَ أَنْ تَأْخُذَهُ - فِي شَبَابِكَ - رَحْمَةٌ ؟

لَقَدْ صَرَغْتُ قَاتِلَكَ بِالسَّيْفِ ، وَمَا تَشَفَّيْتُ مِنْ غَيْظِي ، وَلَا رَزَدْتُ بِذَلِكَ غَلِيلِي (لَمْ أَشْفِ خِرَارَةَ حُرْنِي وَحَفْدِي) !

يَا لَهُمْ مِنْ أَثَمَةٍ طُغَاةٍ (مُجْرِمِينَ مُعْتَدِينَ) ! لَقَدْ خَنَقُوا « الْبُهْلُولُ » فِي السَّجْنِ ، وَأَهْلَكُوهُ جَزَاءً وَفَاءً لِي !

الْوَيْلُ لِلْجَانِبِيِّ ! وَالْوَيْلُ لِلشَّافِحِينَ (الَّذِينَ أَسَالُوا الدَّمَاءَ) ! لَقَدْ تَرَكَوا الْجُرْدَانَ (الْقِيرَانَ) وَغَيْرَهَا مِنْ دَوَابِّ الْأَرْضِ ، دُونَ أَنْ يَنْتَرِعُوا أَرْوَاحَهَا مِنْهَا . وَلَكِنَّهُمْ ضَنُّوا (بَخِلُوا) عَلَى « كُرْدِلِيَا » الْوَفِيِّ الْمُخْلِصَةِ بِالْحَيَاةِ الَّتِي تَنْمُ بِهَا الْخَيْلُ وَالْكِلَابُ !

مكتبة الكيلاني

٩ - خاتمة « لير »

وهكذا استسلم الملك « لير » الحزين الشاكر (الذي قد ولده)
لآلامه . وما زال يهذي حتى أسلمه هذيانهُ إلى الجنون ، واسودت الدنيا
في عينيه ، وغمرت الأحزان قلبه ؛ فأظلم ، ثم أغشى عليه .
وأفاق لحظة قصيرة ، فالتفت إلى وزيره المخلص قائلاً :
« كنت : لقد عرفتك ! »

« كزديا » : لقد قدّتك إلى الأبد !
ثم أغشى عليه ثانية ، وأسلمته أخزانه إلى الردى ... فمات !

انتهت القصة

مجموعاتها : تسائر التلميذ في نحو مائة وخمسين قصة ، رائمة
الصور ، بديعة الإخراج ، متدرجة به من رياض الأطفال إلى ختام
التعليم الثانوي . ثم نسلته إلى مكتبة الكيلاني للشباب .
مادتها : قوم الخلق ، وتربى الذهن ، وتعلم الأدب .
فنها : يشوق القارئ ويثبت ، ويحبب الكتاب إليه .
لونها : تبنى ملكة التعبير ، وتطبع اللسان على فصيح البيان .
توزع رشيدة ، أجمع على تأييدها وزراء المعارف ووزعاء التعليم
وقادة الرأي في الشرق ، وكبار المستشرقين وأعلام التربية في الغرب .
أول مكتبة عربية عيّنت بنشئة الطفل على أحدث أسس
التربية الصحيحة . تولت طباعتها المربية ؛ فتشقت بها الجيل
الجديد في بلاد المروبة ، ولم يخل منها بيت عربي .

ترجمت إلى أكثر اللغات الشرقية وبعض اللغات الغربية .
مدرسة حرة ، إذا عرفها التلميذ ، سعى إليها بلا ترغيب ولا ترهيب
كانت أكبر أمنية للآباء ، وهي اليوم أشهى غذاء ثقافي للأبناء .